حسنُ التعامل بينَ الناس

الطبعة الثانية

١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م



بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان





email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com



مقدمة

الحَمْدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسُولِ اللهِ أمَّا بَعْدُ،

بعدَ أنْ قامت فرق متعددة تنتسبُ للإسلامِ بنسبة ما ليس منه إليه بأفكارها الشَّاذَّةِ وأعمالِها المنفرة، حتّى إنَّ مِنَ الناسِ من هلك بظنّه أنَّ هذا هو الإسلامُ وهذا ما جاء به النبيُّ ﷺ، رأينا أن نُصْدِرَ هذا الكتابَ الذي يحوي الكثير من فضائل الأعمالِ التي ذكرها رسول الله ﷺ، في أحاديثه ليعمل بها، والتي كانت من صفاته ﷺ وهو الذي قال فيه ربّه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وذكرنا فيه أيضًا بعض أحاديثه وبعض أحواله ﷺ في حسن معاملة الناس.

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

وأغنيناه بذكر الكثير من نصائح ووصايا المحدث الحافظ والمربي المرشد الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله.

فأردنا أن يكون هذا الكتاب منارة يستضيء بها الداعي إلى الله، ومنهاجًا يُبرزُ تعاليم هذا الدين الحنيف... والله المستعان.



معاملة الناس:

قَالَ اللهُ سبحانَه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

الأُسسُ الأوَّليَّةُ للتَّعامُلِ السَّليمِ مع النَّاسِ:

التَّعامُلُ الحَسَنُ بين الناسِ هو ما كان من تعامل على حسب الشريعة وعلى أساس الدين.

والتَعامُلُ بين النَّاسِ باعتبارِهِ ميداناً ضروريًّا مهمًّا لا غِنًى للإنسانِ عنه، ينبغي أنْ يَقومَ على أُسُسٍ وقواعدَ أوليةٍ سليمةٍ وراسِخةٍ لكي يكونَ سليمًا وحَسنًا.

وهذا ما تَتَنَاوَلُهُ المواضيع الآتية.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.



الدين



الدِّينُ قانونٌ[١] سَماوِيٌّ وَضَعَهُ اللهُ لِخَلْقِهِ لِيَتَّبِعُوْهُ.

قالَ الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[٢].

وقالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[٣].

فالإسلامُ هوَ الدينُ الذي رضيَه اللهُ لعبادِهِ وأمرَنا باتّباعِه.

فكلُّ الأنبياءِ مسلمونَ، فمَنْ كانَ متّبِعًا لموسى فهو مسلمٌ موسويٌّ ومَنْ كان متّبعًا لعيسى فهو مسلمٌ عيسويٌّ ويُقالُ لمَنْ اتَّبعَ محمدًا ﷺ مسلمٌ محمديٌّ.

والمبدأُ الإسلاميُّ الجامِعُ لجميعِ أهلِ الإسلامِ عبادةُ اللهِ وحدَه. وأصلُ الإسلامِ هو الإيمانُ بالله مع تنزيهِهِ عنْ مشابهةِ شيء مِنَ الخَلْقِ، فاللهُ تباركَ وتعالى لا يُشبه الخلق بوجهٍ مِنَ الوجوه، ليس جسمًا ولا مُتحيِّزًا في مكانٍ ولا جهة، لا يجوزُ عليه المكانُ بالمرَّةِ، وكذلك لا يوصَفُ اللهُ بأنَّه في جميعِ الأماكنِ، قالَ الإمامُ أحمد الرفاعيُّ رضي الله عنه: «**غايةُ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ بوجودِهِ تعالى بلا كَيْفٍ ولا مكانٍ**». ويجبُ على كل مسلمٍ حِفْظُ

(١) قانون الشيء أصله ومبدؤه (لسان العرب).
(٢) سورة ءال عمران: ١٩.
(٣) سورة ءال عمران: ٨٥.

إسلامِه وصَونُه عمَّا يُفسدُه ويَقْطَعُه ويُبْطِلُه وهي الردة [١] والعياذُ بالله.

وهي أي الردة ثلاثةُ أقسامٍ:

١ - الكفرُ القوليُّ: كمَنْ يَسُبُّ اللهَ أوِ النَّبيَّ أوِ القرءانَ أو الشريعةَ أو الإسلامَ.

٢ - الكفرُ الاعتقاديُّ: كمَنْ يَعتقِدُ أنَّ اللهَ جِسْمٌ أو نُوْرٌ بمعنى الضَّوْءِ أو أنَّه قاعِدٌ فوقَ العَرْشِ. قالَ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه: «**مَنْ قال أو اعتقد أنَّ الله جالس على العرش فهو كافر**»[٢].

٣ -الكفرُ الفعليُّ: كإلقاءِ المصحفِ في القاذوراتِ عمدًا.

فمَنْ وقعَ في نوعٍ مِنْ هذه الأنواعِ الكفرية الثلاثةِ عليه أنْ يُجدِّدَ إيمانَه بالعودة إلى الإسلام بقَولِ أشهَدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أنّ محمدًا رسولُ اللهِ، وليسَ بقَولِ: «أستغفرُ اللهِ».

طلب الآخرة:

واعلم أن من أعطي الدنيا ولم يعط الإيمان كأنما لم يعط شيئًا ومن أعطي الإيمان ولم يعط الدنيا كأنما ما منع شيئًا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) الردة: هي الكفر بعد الإيمان. وهي قطع الإسلام إما بقول كفر أو باعتقاد كفري أو فعل كفري.

(٢) ذكره ابن المُعَلّم القرشي في كتابه «نجم المهتدي»، ص ٥٥١.

قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ**»[١].

وَكَانَ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما يقول: «**إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري. قالوا فِي شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: «لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ**»[٢].

قَالَ مجاهدٌ تلميذ الصحابي الجليل ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «**اجعَلْ دُنياكَ جُنَّةً لِدِينِكَ ولا تَجْعَلْ دينكَ جُنَّةً لدُنْياكَ**»[٣]. معناه اجعلْ دنياكَ حِصنًا ووِقاية لِدِينِكَ، أي احفَظْ دِينَك بدُنياك، بمالِكَ، أي اصرِفْ مالَكَ لِحفْظِ دينِكَ وإيَّاكَ والعكسَ. معناه لا تُؤْثِرْ دنياكَ على دينِكِ بلْ آثِرْ دِينَك على دنياك. كما فعل أحد الصحابة - وكان فرضًا عليهم قبل الفتح أن يلحقوا بالرسول ﷺ إلى المدينة ليؤازروه - ويقال له صهيب الرومي،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (٦٤١٦)، سنن الترمذي: باب ما جاء في قصر الأمل (٢٣٣٣)، سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب مثل الدنيا (٤١١٤).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (٦٤١٦).

(٣) أحكام القرءان للجصّاص: (٤/ ٨٦).

كان غنيًا له مال كثير، المشركون في مكة قالوا له: « لا نُخَلّيك حتى تتخلى عن كل مالك»، فتَخَلّى عن ماله وذهب إلى الرسول ﷺ.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «**الدنيا كالراحلة إذا ركبتها حملتك وإذا ركبتك قتلتْك**»[١].

فالحذر من الدنيا فقد روى عن رسولِ الله ﷺ: «سيأتي يومٌ على أُمَّتي يُحبونَ خمسةً وينسونَ خمسةً يُحبُّونَ الدُنيا ويَنسونَ الآخرةَ، ويُحبُّونَ المالَ ويَنسونَ الحسابَ، ويُحبُّونَ الخلْقَ وينسونَ الخالِقَ، ويحبُّونَ الذَّنبَ ويَنسونَ التوبةَ، ويُحبُّونَ القُصورَ وينسونَ القُبورَ»[٢].

وروى الحاكم في كتاب المستدرك بإسناد صحيح قال رسول الله ﷺ وعلى ءاله: «اغتنم خمسًا قبل خمس، حياتك قبل موتك، صحتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك»[٣].

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**اغتنم حياتك قبل موتك**»، ورد حديث ءاخر في معناه «**كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله**»

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول:

---

(١) بحر الدموع لابن الجوزي: (ص/ ٧٠)، لوافح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني: (ص/ ٢٦).

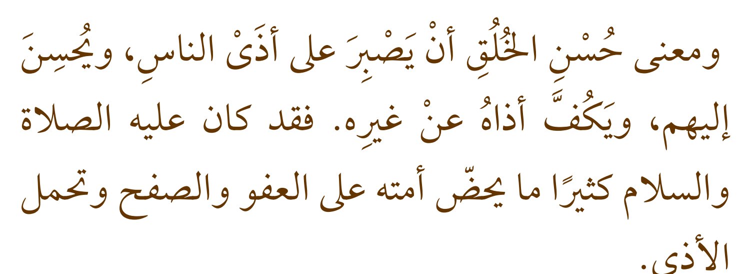
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: (٨/ ٤٠).

(٣) المستدرك على الصحيحين: باب الرِقاق: (٧٨٤٦).

كلُّ امرئ مُصَبَّحٌ في أَهلِهِ ... والموتُ أقربُ من شِراك نعلِهِ

فالموت قريب والعمر ساعات قليلة ويوم القيامة توفّى كل نفس ما كسبت. فالدُّنيا خائنة كذابة تضحك على أهلها مَنْ مال عنها سلِمَ منها، ومَن مالَ إليها يُلِيَ فيها. هي كالحيَّة ليّنٌ لمسُها قاتلٌ سمُّها لذاتها سريعة الزوال وأيامها تمضي كالخيال.

حُسْنُ الخُلُق



قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[١]، قال رسول الله ﷺ: «**أكْمَلُ المُؤْمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا**»[٢]، على حَسَبِ حُسْنِ الخُلُقِ يكونُ الشخصُ أكْمَلَ إيمانًا. وفي رواية: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحاسِنُهم أخلاقًا**»[٣].

ومعنى حُسْنِ الخُلُقِ أنْ يَصْبِرَ على أذَىْ الناسِ، ويُحسِنَ إليهم، ويَكُفَّ أذاهُ عنْ غيرِه. فقد كان عليه الصلاة والسلام كثيرًا ما يحضّ أمته على العفو والصفح وتحمل الأذى.

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سنن الترمذي: أبواب الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، سنن أبي داود: كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨٢).

(٣) المعجم الصغير للطبراني: باب العين: من اسمه عبد الله (٦٠٥).

فقد ورد عنه ﷺ أنّه قال: «**ما شيء أثقل في الميزان**»[١] أي في ميزان الآخرة الذي يوزن به أعمال العباد «**من حسن الخلق**». وحسن الخلق عبارة عن تحمل أذى الغير وكف الأذى عن المسلمين وبذل المعروف أي أن يحسن المؤمن إلى الذي يحسن إليه والذي لا يُحْسِن إليه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله يقول: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»[٢].

وفي معنى حسن الخلق قال الإمام البيهقي: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس، وهو في ذات الله عزّ وجلّ أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه، يفعل ما فرض عليه، طيّب النفس به سلسًا نحوه وينتهي عما حرّم عليه راضيًا به غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيرًا من المباح لوجهه تعالى وتقدس، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله مستبشرًا لذلك غير ضَجِر منه ولا متعسِر به. وهو في المعاملات بين الناس أن يكون سمْحًا لحقوقه لا يطالب غيره بها ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإنْ مرِض ولم يُعَدْ أو قَدِم من سفرٍ فلم يُزَر أو سلّم فلم يُردّ عليه أو ضاف فلم يُكْرَم أو شَفَع فلم يُجَبْ أو أحسن فلم يُشْكَر أو دَخَل على قوم فلم يُمكَّن أو تكلم فلم يُنْصَت له أو استَأذن على

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق (٤٧٩٩)، مسند أحمد: بقية حديث أبي الدرداء (٢٧٥١٧)، مسند ابن أبي شيبة (٤٠).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق (٤٧٩٨).

صَدِيق فلم يُؤْذَن له أو خَطَب فلم يُزَوَّج أو استَمْهَل الدَيْن فلم يُمهل أو استَنْقَص منه فلم يُنقَص وما أشبه ذلك، ولم يَغْضَب ولم يُعاقب ولم يَتَنكَر من حاله حال، ولم يَستشعر في نفسه أنه قد جُفِي وأوحِش وأنه لا يُقابِل كل ذلك إذا وَجَد السبيل إليه بمثله بل يُضمر أنه لا يَعْتَدُّ بشيء من ذلك ويقابل كلًّا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البرّ والتقوى وأشبه بما يُحمَدُ ويُرضَى، ثم يكون في إيفاء ما يكون عليه كَهُوَ في حِفظ ما يكون له، فإذا مَرِض أخوه المسلم عادَهُ، وإن جاء في شفاعة شَفَّعه وإن استَمْهَلَهُ في قضاء دَيْن أمهله، وإن احتاج منه إلى مَعُونته أعانه وإن استَسمحه في بيع سَمَح له ولا ينظر إلى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا وكيف يعامل الناس إنما يتخذ الأحسن إمامًا لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه، والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مُكْتَسبًا.

وإنّما يَصح اكتسابه ممن كان في غريزته أمثل منه فهو يَضُم باكتسابه إليه ما يتمّمه، ومعلوم في العادات أن ذا الرأي يزداد بمجالسة أولي الأحلام والنُّهَى رأيًا، وأن العالم يزداد بمخالطة العلماء علمًا، وكذلك الصالح والعاقل بمجالسة الصلحاء والعقلاء، فلا يُنكر أن يكون ذو الخلق الحسن الجميل يزداد حُسْنَ الخُلُق بمجالسة أُولي الأخلاق الحسنة وبالله التوفيق.

قصة في تحمل أذى الناس

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «كَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ المُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيل جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ، قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرِيجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ:



لاَ، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا» متفق عليه[١].



وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس الشديد من غلب الناس ولكن الشديد من غلب نفسه**»[٢] ولا أدب أحسن من أدب رسول الله ﷺ جزاه الله أحسن الجزاء عن أمته فإن تعويد النفس على تحمل أذى الغير يكون وسيلة إلى الدرجات العلَى وهو عظيم النفع في معاملة الناس بعضَهم بعضًا فإن من كفّ نفسه عند الغضب أنقذ نفسه من مهالكَ كثيرة. وروي بإسناد صحيح عن النبي ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفّذه خيّره الله تعالى من الحور العين**[٣] **ما شاء**»[٤] فكم من أناس ليس لهم كثير صلاة من النفل ولا كثير صيام من النفل تُعادل درجاتهم في الآخرة درجاتِ الصوّامين القوّامين الذين لا يتحلّوْن بحُسن الخلق. فمن تمكّن في أداء الواجبات واجتناب المحرمات كان مِن خيار عباد الله ولو كان

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها (٢٥٥٠)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٨٠٧٢)، شعب الإيمان للبيهقي: باب بر الوالدين: فصل في عقوق الوالدين وما جاء فيه (٧٤٩٥).

(٢) صحيح ابن حبان: باب الفقر والزهد والقناعة (٧١٧)، مسند إسحق بن راهويه (٥١٦).

(٣) «الحور العين» العين معناه واسعات العيون الحور العين شديد سواد عيونهن وشديد بياض عيونهن.

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الحِلْم (٤١٨٦)، سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب من كظم غيظا (٤٧٧٧)، مسند أحمد: حديث معاذ بن أنس الجهني (١٥٦٣٧).

قليل الاجتهاد في النوافل، فالقليل من العمل الموافق لسنة رسول الله ﷺ خير من العمل الكثير المخالف لِما جاء به رسول الله ﷺ.

وروي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببُردة فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة فقال سهل هي شملة منسوجة فيها حاشيتها فقالت المرأة: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فلبسها، فرءاها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه اكسُنيها، فقال: نعم فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال: «**والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني قال سهل: فكانت كفنه**»[(١)].

ثم إنَّ مِنْ طبيعةِ الناسِ أنَّهم لا يَميلونَ إلى أنْ يُلامُوْا ويُعاتَبُوْا، ولا إلى مَنْ يَلومهم ويُعاتِبهم ويُوَبِّخُهم ولكي يُحْسِنَ المَرْءُ مُعاملتَهم جَدِيرٌ بِهِ أنْ يُعامِلَهم بالإحسانِ، وأنْ لا يُكْثِرَ مِنَ اللَّوْمِ والعِتَابِ.

قالَ الشاعر بشّار بن بُرد: [الطويل]

إذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لمْ تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء (٦٠٣٦)، المعجم الكبير للطبراني (٥٧٨٥).

عدم تتبع عورات الناس

وَمِنْ حُسْنِ الخُلُقِ وَالمُعاملَةِ مَعَ الناسِ أنْ لا يَتَتَبَّعَ الواحد مِنّا عوراتِ الناسِ، فإنَّ الناسَ يَنْفِرُوْنَ مِمَّنْ هذه خَصْلَتُهُ. يروى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: [الطويل]

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى وحظُك موفورٌ وعرضُك صيّنُ
لِسَانكَ لا تذكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَللناسِ ألسُنُ
وعينك إن أبدت إليك معايبًا فصُنْها وقل يا عينُ للناسِ أعينُ
وعاشرْ بمعروفٍ وسامحْ من اعتدى وفارقْ ولكنْ بالتي هي أحسنُ

ولا يجوزُ ذِكْرُ عوراتِ الناسِ إنْ لمْ يكنْ لسببٍ شرعيٍّ كالتحذيرِ الواجِبِ. ومَنْ مِنَّا لا يخلُو مِنَ العيوبِ؟! قال رسول الله ﷺ: «**من ستر على مسلم عورة فكأنما أحيا موؤدة**»[١] معناهُ الذي يَسْتُرُ عورةَ مسلم له ثوابٌ عظيمٌ كأنَّه أحيا البنتَ التي قُتِلَتْ صغيرةً بِدَفْنِها حَيَّةً، كأنَّه أنقذَها قبلَ أنْ تَموتَ، فالذي يستر على المسلم شيئًا مستقبحًا أن يطلع عليه الناس فكأنما خلّص هذه الموؤدة من الوأد.

كان مسلمة من أصحاب رسول الله وكان واليًا في مصر جاءه ذات

(١) روي بلفظ قريب من حديث جابر في: مسند أحمد: حديث عقبة بن عامر (١٧٣٣١)، المعجم الأوسط للطبراني: باب القاف (٤٩٩٢)، شعب الإيمان للبيهقي: باب إكرام الجار: فصل في التكليف للضيف عند القدرة (٩٢٠٧).

يوم الحاجبُ فقال له: إن بالباب رجلا بدويًا يستأذن فقال: من أنت؟ فأجاب: البدوي جابر بن عبد الله فأشرف عليه وقال: أَنزِلُ إليك أم تَصعَدُ إليّ فقال: لا تنزل إلي ولا أصعد إليك بَلَغني أنك رويت الحديث المذكور فأجاب بأنه صحيح[١]. الستر على المسلم مطلوب فيه حسنة كبيرة وهذا الذي يستر عبدًا له أيضا أن يستره الله تعالى يوم القيامة والفضيحة هناك أشد لأنه في الدنيا يجتمع عدد قليل من الناس فيعلمون بهذه الفضيحة أما في يوم الجمع يجتمع الأولون والآخرون. وعن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيَا إلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٢].

وصَحَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَافَسُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»[٣]. والحسد هو تمني زوال النعمة عن أخيك المسلم واستثقالها وعمل بمقتضاها وعن الأحنف بن قيس: «**خمس هنّ كما أقول لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لملوك**

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني: باب الميم (٨١٣٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة (٢٥٩٠)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٩٠٤٥)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الحدود (٨١٦٠).

(٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها (٢٥٦٣)، سنن الترمذي: أبواب البر والصلة: باب ما جاء في ظن السَوء (١٩٨٨)، موطأ مالك: كتاب الجامع: باب ما جاء في الهجر (١٨٩٥)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٧٨٥٨).

ولا حيلة لبخيل ولا سؤدد لسيّئ الخُلق»[١].

وأما التَّحَسُّسُ فهو التفتيشُ عن عيوبِ الناسِ بالعَيْنِ. وأما معنى «**ولا تدابروا**» فهو نَهْيٌ عن مثل ما يحصل من بعض الناس عندما يدخل إلى مجلس يوليه ظهره ليظهر أنه يقاطعه. أي أَنْ يُعْرِضَ عَنِ المسلم ويَهْجُرَهُ وَيَجْعَلَهُ كَالشَىءِ الَّذِي وَرَاءَ الظَّهْرِ وَالدُّبُرِ. هذا فيه إيذاء للمسلم فيتولد من ذلك ترك التعاون لما هو مأمور به من التعاون على إزالة المنكر أو أداء الفرائض، فالمسلمون إذا تحاسدوا وتباغضوا يتقاعسون عن البرّ والتقوى والأمر الذي يعين على هذه الأشياء هو مخالفة النفس فإنها تعين على كثير من أعمال البرّالتي تقرب إلى الله. قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢] القرءان حثنا على مخالفة الهوى، الهوى ما تميل إليه النفس، النفس مجبولة على حب أشياء حب الشهوات كالأكل والشرب وغير ذلك وعلى حب التعالي وعلى حب الترفع وهذا أمر مذموم عند الله ثم فيه ضرر على الشخص يضره في دينه، فإن مخالفة النفس أمر مهم.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي: الحثّ على ترك الغِلّ والحسد (٦٢١٠).

(٢) سورة النازِعات: ٤٠-٤١.

(٣) سورة ءال عمران: ١٥٩.

التواضُعُ للنَّاسِ

التواضعُ تركُ التَرفُعِ على الناس وقدْ وردَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَحْمِلُ أمامةَ بنتَ بنتِه زينبَ(١)، هذا مِنْ شدَّةِ رَحمتِهِ بِخَلْقِ اللهِ وتواضُعِهِ، وهكذا شأنُ الأنبياءِ معَ ما لهم مِنْ جاهٍ عظيمٍ عندَ اللهِ، كانوا أشدَّ الناسِ تواضُعًا. وكانَ ﷺ يَحْلِبُ شاتَه بيدِهِ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ بيدِهِ، ويَرْقَعُ ثوبَه، وفي مِهْنَةِ بيتِهِ مِنْ شِدَّةِ التواضُعِ ولم يَرِد أنّه ﷺ كان يَكنِسُ بيته لكن كَنسُ البيت في معنى هذا، وهذا من كمال التواضع.

وقد سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - يعني خِدمَةَ أهلِه - فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ(٢).

فالأنبياءُ مِنْ أوّلِ نَشْأَتِهم تعودوا على التّواضُعِ، لأنَّ كلَّ نبيٍّ سَبَقَ لهُ رِعْيَةُ الغَنَمِ، فرِعيةِ الغنَمِ تُمَرِّنُ صاحبها على الصَّبْرِ على التّعَبِ، لأنَّ الغنمَ كثيرةُ التَفَلُّتِ. هذه تَفْلِتُ إلى هنا وهذه تفلتُ إلى هنا، الرجلُ يَتعبُ في ردِّ هذه إلى هنا وفي ردِ تلك إلى هنا.

---

(١) سنن أبي داود: باب تفريع أبواب الركوع والسجود (٩١٨)، سنن النسائي الكبرى: كتاب المساجد: باب إدخال الصبيان المساجد (٧٩٢)، مسند أحمد: حديث أبي قتادة (٢٢٥٨٤)، صحيح ابن حبّان: باب نواقض الوضوء (١١١٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج (٦٧٦)، سنن الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: باب (٢٤٨٩)، مسند أحمد: مسند عائشة (٢٤٢٢٦).

قبلَ النبوّةِ يَنشَأ النبيُّ على التواضُعِ والتعَبِ في خِدْمَةِ الخَلْقِ. فالأنبياءُ جامعونَ لأوصافِ الكمالِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَلِيْنِ الجانِبِ والدُّؤوْبِ على السَّعْيِ في مصالح الناسِ. وقدْ أَحَبَّ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يكونَ في الدُّنيا معَ المُتواضعِينَ، وأنْ يُحْشَرَ يومَ القيامةِ معَ المتواضعينَ، وقدْ طَلَبَ مِنَ اللهِ تعالى أنْ يُحْشَرَ في زُمْرَةِ المتواضعينَ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «**اللهمَّ أَحْيِنِيْ مِسْكِينًا وأَمِتْني مِسكينًا واحشُرْنِي في زُمْرَةِ المساكينِ**»[١] أي المتواضعين. وكان يَقبَلُ الهَدِيَّة ولا يأكل الصَدَقة[٢]، ويعود المريض ويجيب من دعاه من غني وفقير ودني وشريف ولا يَحْقِر مؤمنًا[٣]، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه[٤]، وكان يأمر بالرفق ويحث على العفو والصفح ومكارم الأخلاق[٥].

والتَّوَاضُع مطلوبٌ مَعَ الكِبارِ والصِّغارِ والأغنياءِ والفقراءِ لوجْهِ اللهِ تعالى.

والتكبُّرُ مذمومٌ في وجهِ المؤمنِ وغيرِ المؤمنِ، لأنَّ الأنبياءَ لمّا دَعَوُا

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الزهد: باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٢٣٥٢)، سنن ابن ماجه: كتب الزهد: باب مجالسة الفقراء (٤١٢٦)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الرقاق (٧٩١١)، شعب الإيمان: فصل في زهد النبي ﷺ (١٣٨٠).

(٢) شعب الإيمان: فصل في ما يقول إذا فرغ من الطعام (٥٦٤٢)، المستدرك على الصحيحين: ذكر سلمان الفارسي رضي الله عنه (٦٥٤٣)، مسند أحمد: حديث سلمان الفارسي (٢٣٧٣٧).

(٣) سنن الترمذي: أبواب الجنائز (١٠١٧)، سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب البراءة من الكبر والتواضع (٤١٧٨)، المتسدرك على الصحيحين: تفسير سورة ق (٣٧٣٤).

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم: باب من كره أن يوطأ عقباه (٢٤٦)، صحيح ابن حبّان: ذكر ما كان يستعمل عند مشي النبي ﷺ في طرقه (٦٣١٢).

(٥) الأحاديث في الحث على الرفق والعفو والصفح كثيرة جدًّا.

الكفـاَّرَ إلى الدِّينِ ما كانوا مُتكبِّرينَ عليهِم لأنَّهم لَوْ كانوا متكبّرينَ في وجوهِ الكفـاّرِ لنفرُوْا عنهُم، وأحوالُ النبيّ ﷺ وغيرِه من الأنبياءِ تدلُّ على ذلك. وما كان الأنبياء ليكونوا متكبرين لأن التكبر ردّ الحق، والحق كان مع الأنبياء والناطق بالحق ليس متكبرًا فإن التكبر شأن الكافرين.

والتكبر صفة مذمومة مع المتواضع وغير المتواضع ليس كما يقول بعض الناس: التكبُّر على المتكبّر صدقة، الله تبارك وتعالى يحب المؤمن المتواضع ويكره المتكبر، وكل من له عند الله منزلة عالية صفته التواضع وترك العجب وهو شهود العبادة صادرة عن النفس غائبًا عن المِنّة فمن ترك العجب وابتعد عنه فقد نجا وسَلِم ومن تأمل في أحوال الصالحين والصحابة ومن بعدهم علم أنهم كانوا متواضعين وأنهم لم يكونوا مترفّعين على الناس. كان الإمام الشافعي رضي الله عنه مع جلالة قدره وعلو شأنه لا يجادل إنسانًا وهو مترفع عليه إنما كان يبغي عند جداله لإنسان الوصول لإظهار الحق.

كان رجلٌ من اليهودِ في المدينةِ عَامَلَ النبيَّ ﷺ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ ثمَّ جاءَ اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: «**يا بَنِيْ عبدِ المُطَّلِبِ إنَّكم قَوْمٌ مُطْـلٌ**»، فلم يُعَنِّفْهُ النبيُّ ﷺ ولا أظْهَرَ الغَضَبَ منه، مع أنه يستحق ذلك بقوله ذلك، فلم يعامله النبي بالمثل رجاء إسلامه ولو ردّ عليه النبي لم يكن ظالمًا لأنه

افترى على النبي ﷺ ثمَّ أمَرَ النبيُّ ﷺ بوفاءِ دَيْنِه على وَجْهِ الإحسانِ[١].
لولا تواضع الأنبياء من أين يستفيد منهم البشر هذه الفائدة التي هي سبب السعادة الأبدية؟! يُسَبُّون فيقابِلُون الإساءة والإهانة بالإحسان، هذا بتواضعهم.

فهذا رسولُ اللهِ ﷺ لم يَكْفَهِرَّ في وَجْهِ هذا اليهوديِّ الذي أهانَه -مِنْ ذمِّه وذمِّ عشيرتِه- لأنَّ كلامَهُ شاملٌ له ولعشيرتِه، فكأنَّه قالَ أنتَ يا محمّدُ وعشيرتك تماطلون الدَيْنَ.

فأسلمَ هذا اليهوديُّ لأنّه أرادَ أنْ يمتَحِنَه هلْ يَجِدُ فيه العلاماتِ التي هي مذكورةٌ في بعضِ الكُتُبِ القديمةِ مِنْ صفةِ سيدِنا محمد ﷺ، فلمّا رءاها كلَّها أسلمَ.

وقد حصل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له بعض الناس: هيه يا ابن الخطاب إنك لا تعدل في القضية ولا تقسم بالسوية، فغضب عمر وهمّ به فقال له ابن أخيه قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[٢] فهدأ عمر، ما سلم أحد من ألسن الناس.

وحَصَلَ لسيِّدِنا أحمدَ الرفاعيِّ رضيَ اللهُ عنه أنْ كانَ ذاتَ يوم يمشي مَعَ جَمْعٍ مِنْ مُريدِيه، فَعَلِمَ بذلك يهوديٌّ كانَ يَسْمَعُ أنَّ السَيِّدَ أحمدَ الرفاعِيَّ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: باب الزاي (٥١٤٧)، الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي (٩/٤٤٨).

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

حليمٌ متواضعٌ، فأرادَ أنْ يمتحِنَهُ هل هوَ كما يَصِفُهُ الناسُ أمْ لا، فأتَى إليه وقالَ لهُ: يا سيدُ أنتَ أفضلُ أم الكلبُ أفضلُ؟ فقالَ السيِّدُ أحمد رضيَ اللهُ عنهُ: «**إنْ نَجَوْتُ على الصِّرَاطِ فأنا أفضَلُ**»، فأسلمَ اليهوديُّ وأسلَمَ أهلُه وكثيرٌ مِنْ معارِفِه[١]. فلولا أنْ تواضَعَ معه لم يُسلِمْ، فلوْ كانَ ظَهَرَ في وجهِهِ أنَّه غَضِبَ، أوْ كانَ اكْفَهَرَّ في وجهِه، أوْ قالَ له كلمةَ شَتْمٍ، ما رَغِبَ في الإسْلامِ. لكنْ أعجَبَه شدَّةُ حِلْمِه وتواضعِه فاعترَفَ في نفسِه بأنَّ دِينَ هذا السيِّدِ صحيحٌ وهو أي السيد أحمد كان شديد التواضع، يُضرَب به المثل في التواضع، أحيانًا كان يَكْنِس الرواق بنفسه وكان يخرج ليمسك أيدي العُميان ليوصلهم إلى حيث يريدون، بلغ الغاية في التواضع. قال بعض العلماء [الكامل]:

إنَّ التَّواضُعَ مِنْ خِصَالِ المُتقي ... وبِهِ التقيُّ إلى المَعالي يَرتَقِي

وقد قال رسول الله ﷺ: «**من تواضع لله رفعه**»[٢].

ومن التواضع أن يترك رأيه الذي فيه خير إلى رأي أخيه الذي فيه خير لأن العمل الجماعي خير من العمل الفردي. وقد قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل الجنة، أهل الجنة كل هيْن ليْن سهل قريب**»[٣]. معنى «هين»

---

(١) انظر البرهان المؤيد من أقوال السيّد أحمد الرفاعي.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: باب الميم (٨٣٠٧)، شعب الإيمان: فصل في التواضع (٧٧٩٠)، مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد (٣٤٦٦٣).

(٣) مسند أحمد: مسند عبد الله بن مسعود (٣٩٨٩)، المعجم الأوسط للطبراني (٨٣٧) والمعجم الصغير (٨٩)، شعب الإيمان: فصل في لين الجانب (٧٧٦١)، صحيح ابن حبّان: ذكر البيان بأن

متواضع، سهل في التعامل، و«ليْن» قريب تأكيد لهذا. وقال ﷺ: «**إنكم لتَغْفُلون عن أفضلِ العبادة التواضع**»[١] أي من أفضلِ العبادة وليس أفضلها على الإطلاق. فلْيلزم أحدُنا نفسَه أن يتواضعَ لأخيه لا أن يكون مترفعًا عليه. فعلينا بمخالفة النفس فإن النفس تحبُّ الترفع والتعالي. فالتواضع يؤدي إلى كسب المعالي والدرجات العالية، والتواضع له جزء يتبعه وهو الحلم، التواضع والحِلْم مقرونان، قال بعض العلماء: «**الحِلْم زَيْنُ العلم**»[٢] ومما يروى عن سيدنا عيسى عليه السلام قوله في صفة علماء أمّة محمد ﷺ «**علماء حكماء حلماء كأنهم من الفقه أنبياء**»[٣] معناه علماء أمّة محمّد هذه صفتهم، ومن كثرة ما يرزقون في العلم كأنهم أنبياء، الحِلْم جُزء من التواضع، فليكن عمل كُلٍ مِنّا مع أخيه على هذا النحو التواضعِ والحِلْمِ والإغضاءِ أي المسامحةِ على الإساءة، أي ينبغي أن يكون المؤمنون متعاملين فيما بينهم على التغاضي والعفو والسماح. والحِلْم بالتحلم معناه الحِلْم يُكتَسَب، وهو مطلوب مع الناس مع الصالح والطالح لأنه بالحلم قد يلين الغليظ الجاف. بعض الناس يكونون شَرِسين ثم يتعلمون ويتقون فيصيرون حلماء كثير من الأولياء كانوا شرسين ثم لما سلكوا طريقة الأولياء تغيروا. والتواضع يدعو إلى التطاوع. والتطاوع أن يوافق

المرء إذا كان هينا لينا قريبا سهلا (٤٦٩).

(١) المدخل إلى السنن الكبرى: باب ما يكره لأهل العلم وغيرهم من التكبر والتجبر (٥٤٠).

(٢) يُروى عن رجاء بن حيوة. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعَيم (٥/ ١٧٣).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعَيم (٦/ ٣٢٠).

كل واحد أخاه ولا يترفع عليه ولا يسيء الظن به، وإذا خالف رأيُه رأيَ أخيه يتهم رأيَ نفسِهِ، ويقول رأيُ أخي هذا أحسن، فينظرُ فيه، فإن تيقّن أنه خطأٌ ينبّهه، فليُلزم أحدُنا نفسَه أن يتواضع لأخيه لا أن يكون مترفعًا عليه، رئيسًا عليه، قائدًا له إلى ءارائه. أبو ذر الغفاري كان تقيًا وجريئًا لكنه كان ضعيفًا. الرسول ﷺ قال له: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا فلا تولين على اثنين ولا تولينّ مال يتيم**»[١]. الرئاسة صعبة. وقال فيه ﷺ: «**يعيش وحيدًا ويموت وحيدًا ويُبعث يوم القيامة وحيدًا**»[٢]. هو أبو ذر كان بعد وفاة الرسول ﷺ ينفرد، كان شديد الزهد كان يقول للناس لماذا تمسكون المال انفقوه فصار بينه وبين الناس خلاف فذهب إلى بادية بعيدة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام «**المؤمن كالجمل الأنف**»[٣] الأنف معناه الذي في أنفه قرح ويوضع فيه حبل إذا قاده طفل ينقاد كما ينقاد للفارس الكبير، وهكذا المؤمن ينقاد لإخوانه إلا إذا قيد لمعصية الترفع لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة فالنفس تحب الترفع إلا مَن خالَفها لوجه الله تعالى، فالشخص الذي يخالف نفسه يكون متواضعًا مع عباد الله التواضع مطلوب حتى الرجل في البيت إن خدم نفسه وخدم زوجته بدل أن ينتظر خدمتها هذا أفضل.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي: النهي عن الولاية على مال اليتيم: (٦٤٦١).
(٢) مسند الحارث: باب فضائل أبي ذر الغفاري وأبي الدرداء رضي الله عنهما: (١٠١٩).
(٣) سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: (٤٣).

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبيَّ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ لِي، وَقالَ: «لاَ تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»[١] فَقَالَ: كَلِمَةً مَا يَسرُّنِي أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا وفي رواية: وَقالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» رواه أبو داود.

والذي يوصل إلى التطاوع التواضع. وليكن أحدنا كما فعل سيدنا علي رضي الله عنه، كان في جيش خالد بن الوليد في حرب الردّة، كان سيدنا خالد هو قائدهم مع ما بين خالد وسيدنا علي في رِفعة القدر، الذي لا يتواضع لا يَتَرَقى، لأن ترك التواضع حاجز بين الشخص وبين الترقي.

تواضع أويس القرني

كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ[٢]؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ[٣]؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ:

---

(١) سنن أبي داود: باب الدعاء (١٤٩٨)، مسند أحمد: مسند عمر بن الخطاب (١٩٥)، السنن الكبرى للبيهقي: باب التوديع (١٠٣١٥).

(٢) هو سيدنا أويس حتى الحج ما استطاع أن يحجه إنما أناس باليمن عرضوا عليه والتزموا له النفقة. عرفوه رجلا صالحًا تقيًا زاهدًا قالوا نحن نكفيك الكلفة، بسبب هؤلاء استطاع أن يحج وأما من حيث فقره ما كان يستطيع أن يحج، هذا ولي الله، الرسول قال أفضل التابعين، يعني بعد الصحابة لا يوجد أفضل منه في أمة محمد.

(٣) قَرن هي قبيلة كبيرة باليمن ومراد فرعٌ منها.

نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله يقول: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل» فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟[١] قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ[٢]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله يقولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ» فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ[٣].



(١) أراد عمر أن يعين له أجرة معينة ولكنه من شدة تواضعه فضل ألا يأخذ.

(٢) كان معروفًا برثاثة اللباس يظنه بعض الناس مجنونًا وكان يمشي حافيًا من شدة الفقر.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه (٢٥٤٢)، مسند أحمد: مسند عمر بن الخطاب (٢٦٦).

ورد في الحديث الصحيح أن رجلاً قال للرسول إني أحبك فقال الرسول «**استعد للفقر**»[١] وفي رواية «**استعد للبلاء**»[٢] وفي رواية «**فأعد للفقر تجفافًا**»[٣] معناه تهيأ لهجوم الفقر عليك. أكثر الذين تمكنوا في الدين تمكنوا في التقوى ورفعة الدرجات يزداد بلاؤهم هذه سيرة الأنبياء وسيرة الأولياء.

ورد في أدعية الرسول «**وأعوذ بك من الكفر والفقر**»[٤]، وليس معنى هذا أن الفقر مذموم مطلقًا لا بل هو حال أغلب الصالحين، أغلب الصالحين فقراء بما يشهد به الحديث الآخر الصحيح الذي فيه دخول الفقراء قبل الأغنياء الجنة بخمسمائة عام. معنى قول النبي «**اللهم أغنني من الفقر**» فقر النفس فقر القلب، وكذلك الفقر الذي يؤدي بصاحبه إلى معصيته تعالى.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾[٥] معناه أعطاك الكفاية ليس معناه الغنى بالعرف المعروف بين الناس اليوم. أكثر الصحابة وأكثر الأنبياء وأكثر الأولياء فقراء في أصحاب رسول الله كان يوجد أهل الصفة تركوا بلادهم ليؤازروا الرسول كان بهم من البؤس الفقر إلى حد أنهم ما كان عندهم الاثوب واحد ليس تحته شيء يربطون طرفيه خلف رقابهم في النهار كانوا يحتطبون ليبيعوه ليتقوتوا منه ثم في الليل يتهجدون.

---

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي: (٦٩).

(٢) انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين.

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في فضل الفقر: (٢٣٥٠).

(٤) سنن أبي داود: باب ما يقول إذا أصبح: (٥٠٩٠).

(٥) سورة الضحى: ٧.

تواضع وصبر أكابر الصحابة

بعض أكابر الصحابة من شدة البؤس والفقر خرج من شدة الجوع فلقي يهوديًا له بستان كان في المدينة يهود قبل فتح مكة بعد فتح مكة طردوا ظن اليهودي هذا الصحابي بدويًا لم يعرف أنه صاحب الرسول قال له اليهودي تخرج لي الماء من البئر وتأخذ على كل دلو حبة تمر قال له نعم فأخرج سبعة عشر دلوا وأخذ سبع عشرة حبة تمر.

وبعدما توفي رسول الله ﷺ الله فتح على الصحابة المال مرة بلغت زكاة مال سيدنا علي أربعين ألف درهم ثم بعد ذلك هذا المال صرفه للخير ثم لما مات ما وجدوا في بيته إلا سبعين درهمًا.



تَرْكُ الغَضَب



عَنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَجُلا قالَ للنبيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي» قال: «**لا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: «**لا تَغْضَبْ**»[١].

وتَرْكُ الغَضَبِ أمرٌ مُهِمٌ عظيمٌ جدًا. ورجلٌ ءاخر قالَ: «يا رسولَ اللهِ ما يُنجيني مِنْ غَضَبِ الله»، قالَ عليه

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب الحذر من الغضب (٦١١٦)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام (٢٤٤٩)، سنن الترمذي: باب ما جاء في كثرة الغضب (٢٠٢٠)، موطأ مالك: باب ما جاء في الغضب (١٨٩١)، مسند أحمد: مسند عبد الله بن عمرو (٦٦٣٥).

الصلاة السلامُ: «**لا تَغضَبْ**». ومعنى الحديث مَنْ أرادَ أنْ يَسْلَمَ مِنْ غَضَبِ اللهِ لا يَغْضَب، الذي لا يَغْضَبُ يَسْلَمُ له دينُه. تَرْكُ الغضبِ يُساعدُ على سَلامةِ الدِينِ، كثيرٌ مِنَ الناس يَهدِمونَ دينَهم بسببِ غَضْبَةٍ يَغضَبُونَها، كإنسانٍ أتمَّ بيتـًا بناهُ ثمَّ هدمَه مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

والذي يُساعِدُ على تَرْكِ الغضبِ شهودُ أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيء، كلِّ ما يدخُلُ في الوجودِ مِنْ أجسامٍ وأفعالِ العبادِ وغير ذلك والإكثارُ منَ التهليلِ أي قول «لا إله إلا الله» يساعدُ على تَرْكِ الغضبِ.

هو الغضبُ سَبَبُ الهلاكِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ، في الدنيا يُسَبِبُ القطيعةَ بَيْنَ الأقاربِ وبينَ الأصدقاءِ وبين الزوجِ والزوجةِ، وأمَّا في الآخرةِ فإنَّه يكونُ سببًا للعذابِ الأليمِ، فإنَّ الشخصَ إذا غَضِبَ مِنْ شَخْصٍ، إمّا أنْ يَسُبَّهُ، وإمّا أنْ يَضْرِبَه، وإمَّا أنْ يعمَلَ له مكيدةً تؤدِّي بِهِ إلى القتلِ، أو إلى ما دونَ ذلك. وبسببِ غضبِه قدْ يكفُرُ الانسانُ، يَخْرُجُ مِنَ الإسلامِ.

رجلٌ مِنَ العَرَبِ الأُوَلِ الذين يُقالُ لهم «عادٌ»، هؤلاءِ كانوا طِوَالَ الأجسامِ، كانوا أقوياءَ بأجسامِهم، أكثرُهم كانوا كفارًا ما آمنوا بنبيِّهم. أحدُهم كانَ مسلمًا عاشَ في الإسلامِ أربعينَ سنةً واسمه حمار بن مالك وكان زعيم ناحية، ثمَّ أنزَلَ اللهُ تعالى به مصيبةً، لهُ أبناءٌ ذهبوا ليصطادوا، أنزَلَ اللهُ عليهم صاعقة فَقَتَلَتْهُمْ، هذا الرجلُ الذي عاشَ أربعينَ سنةً على الإسلامِ كَفَرَ باللهِ، قالَ «لا أعبدُه لأنَّه قَتَلَ أبنائِي». ثم صار في الناحيةِ التي هو فيها إذا جاءَ شخصٌ غريبٌ يقولُ له: «اكفُرْ باللهِ وإلا قَتَلْتُكَ»،

ثمَّ أرسلَ اللهُ تعالى عليهم نارًا مِنْ أسفلِ الوادي أكَلَتِ الواديَ كله، الأشجارَ والبَشَرَ وغيرَ ذلك، ماذا استفادَ هذا الإنسانُ بكُفْرِهِ غيرَ أنَّه اكتسب هلاكًا في الدنيا وعذابًا في الآخرةِ. وأرجى شيء لترك الغضب أن يذكر الإنسان وقوفه للحساب على كلامه وعلى أعماله. يتذكر حساب الآخرة يقول أنا يوم القيامة تعرض عليّ أعمالي، أقوالي وأفعالي، ولا أدري ماذا تكون حالي، فهذا يردعه عن الغضب.

ثم إنْ عرف أنّ ما يتكلم به الملائكة يكتبونه، ثم هذا الكتاب الذي يكتبونه يُعْرَضُ عليه في الآخرة، يكف نفسه عن الكلام القبيح ويكف نفسه عن الغضب. فمن خير خصال المؤمن أن يكون بطيء الغضب سريع الرضا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1]، وسيدنا نبيّ الله سليمان عليه السلام روي أنه قال: «**إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب**»[2]، ولا يبالي المسلم الذي هو حريص على سلامة دينه في أن يَسْتَغْبِيَهُ الناس إذا قلل الكلام في المجالس، هو بين الناس اليوم من حضر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب: باب الحذر من الغضب (٦١١٤)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٦٠٩)، موطأ مالك: باب ما جاء في الغضب (١٨٩٢)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٧٢١٩).

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي حرف الهمزة (٢٦٣)، إحياء علوم الدين (٣/ ١١٠)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: حرف الهمزة مع النون (٨٠٠).

مجلسًا لا يتكلم أو يتكلم قليلا يقولون: «هذا غبي لو كان ذكيًّا كان يتكلم كثيرًا»، من يريد سلامة دينه لا يبالي إن قالوا عنه هذا غبيٌّ لا يبالي، لا يضره هذا.

وقدْ وَرَدَ أنَّ رجلا أسلمَ أيامَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ، واسمُهُ جَبَلَةُ بنُ الأَيْهَم، كانَ ملِكًا، في أثناءِ الطوافِ أزعَجَه رجلٌ فغضِبَ فلَطَمَه، فشكاهُ الرجلُ إلى عُمَرَ، فقالَ له عمرُ: خُذْ حقَّكَ منه، فغضِبَ، قال: أنا ملكٌ، وهذا مِنَ الرَّعِيَّةِ[١]. كيفَ يقولُ له عُمَرُ هذا، فكفَرَ وهَرَبَ، مِنْ أجلِ الغَضَبِ كَفَرَ. والإنسان مطلوب منه أن يغلب الغضب لا أن يغلبه الغضبُ. فمن ملك نفسه عند الاستشعار من نفسه بالغضب سلم ونجا من الهلاك لأن الغضب يسبب الكفر، كثير من الناس يكفرون عند الغضب يسبون خالقهم أو يسبون شعائر الإسلام كالصلاة ونحو ذلك وقد يبعثهم الغضب إلى القتل ظلماً، إلى قتل شخص ظلماً، وإلى قطيعة الرحم وإلى غير ذلك من المفاسد.

وعن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يَسْتَبّان وأحدهما قد احْمَرَّ وجهه فقال رسول الله: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال «**تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم**»[٢].

---

(١) تاريخ ابن الوردي (١/ ١٣٩).

(٢) مسند أحمد: حديث معاذ بن جبل (٢٢١١١)، المعجم الصغير للطبراني: باب الميم (١٠٢١)

ويروى أنَّ خياطًا خاط للشافعيّ رضي الله عنه ثوبًا فجعل كُمًّا واسعًا وآخرَ ضيقًا، ليختبر أخلاقه، فلما استلمه الشافعي لم يعنِّفْه، بل قال: نضعُ في واحدٍ الكتبَ، وفي الآخرِ الأقلامَ!!

وقال أيضًا رضي الله عنه: «**من تعلّم القرءان زادَت قيمتُه، ومن تعلّم السنة قَويت حجَّتُه، ومن تعلّم الأدب رقّ طبعُه**»[1].



تحاشي الجدال المذموم



قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾[2].

معناه الإنسان كثير الجدل، أي الجدلِ الذي ليس فيه خيرٌ، فأكثرُ الناسِ هذا حالُهم.

وقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمَنْ تَرَكَ المِراءَ وإنْ كان محقـًّا**»[3]. المِراءُ هو الجدالُ المذمومُ الذي لا يُرادُ منه إحقاقُ حقٍّ أو إبطالُ باطلٍ، الجدال الذي ليس لوجه الله تعالى بل يراد به إخفاء الحق أو يراد به التعاظم على الناس والترفع عليهم مذموم ممقوت عند

والمعجم الكبير: باب الميم (٢٨٨).

(١) المدخل للسنن الكبرى للبيهقي (١/ ٣٢٤)، أدب الدنيا والدين للماوردي(١/ ٤٠)، تاريخ بغداد (٧/ ٢٨٦).

(٢) سورة الكهف: ٥٤.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق (٤٨٠٠)، السنن الكبرى للبيهقي: باب: المزاح لا ترد به الشهادة (٢١١٧٦)، المعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني: (٢١٧، ٨٧٨، ٨٠٥).

الله تعالى ويوجب البعد من الله.. ثم إنَّ الجدالَ العقيمَ أو المِراءَ مَدْعَاةٌ الى أمورٍ منها:

* إمراضُ القلوبِ على الإخوانِ أو الأصدقاءِ أو الناسِ.
* نشوبُ الخصومةِ.
* إفسادُ الصداقةِ القديمةِ.
* حدوثُ القطيعةِ.
* الوقوعُ فيما لا خَيْرَ فيه مِنَ الكلامِ، وقدْ يجرُّ إلى المعصيةِ. من علامة قوة الرجل في دينه أن يترك ما لا فائدة فيه من الكلام وغير ذلك وروى ابن حبان أنه في صحف إبراهيم مذكور أنه على الإنسان أن يكون حافظًا للسانه ولا يتكلم الا فيما يعينه، إلا في الشيء الذي يفيده.



قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[1].

فالله قالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ليعمَّ كلَ مَنْ كانَ بهذه الصّفةِ التي ذكرَها اللهُ في هذهِ الآيةِ وهو أنْ يكونَ المرءُ رحيمًا بالمؤمنينَ. ثمَّ رسولُ اللهِ ﷺ هو خَيْرُ مَنْ يُقْتَدَىْ به لتطبيق هذه الصفة التي ذكرَها اللهُ تعالى، كانَ رحيمًا بالمؤمنينَ،

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

وكانَ يُحِبُّ المساكينَ، ويُدنِيهِم منه، وقدْ أوْصَى بذلك أبا ذرٍّ الغفاريَّ رضي الله عنه. قالَ أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «**أوصاني خليلي بخصالٍ مِنَ الخيرِ، أوصاني بحُبِّ المساكينِ والدُّنُوِّ منهم**»[١] أي الاقترابِ منهم.

كان رسولُ الله ﷺ مِنْ شدَّةِ شَفَقَتِهِ ورحمتِه بالمؤمنينَ إذا لمْ يَرَ بعضَ أصحابِه برهةً مِنَ الزمنِ يتفقّدُه، حتَّى إنّه قيلَ له مرةً عَنْ رجلٍ غريبٍ مؤمنٍ فقيرٍ سألَ عنه إنّه توفِيَ، فذهبَ إلى قبرِهِ وصلّى عليه[٢]. إلى هذا الحدِّ كانَ يُحِبُّ المساكينَ ويعتني بهم. وروى الحاكم بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[٣] رحيم القلب.

فمِنَ القواعِدِ الأساسةِ في معاملةِ الناسِ والدخولِ إلى قلوبِهم والتأثيرِ فيهم استعمالُ الرِّفْقِ واللِّيْنِ والتسامُحُ معهم والصَّبْرُ على أذاهُم، فمن وجد طريقًا إلى القلوب تفتحت له أبواب السماع.

وأن يقنع المرء بما رزقه الله فقد قال ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**»[٤]. رواه الترمذي.

---

(١) صحيح ابن حبّان: باب صلة الرحم وقطعها (٤٤٩)، السنن الكبرى للبيقهي: كتاب ءاداب القاضي: باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمرا بمعروف (٢٠١٨٦)، شعب الإيمان: كتاب الزكاة: الاختيار في صدقة التطوع (٣١٥٦).

(٢) سنن النسائي: كتاب الجنائز: إخراج الميت من اللحد بعد أن يوضع فيه (٢٠٢٠)، تاريخ المدينة لابن أبي شيبة (١/ ١٢٣).

(٣) سورة التوبة: ١١٤.

(٤) سنن الترمذي: الحديث: ٢٣٤٦؛ وسنن ابن ماجه: باب القناعة: الحديث: ٤١٤١.

وقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من ابتُلي فصبَر، وأُعْطِيَ فشكرَ، وظُلِمَ فَغفَرَ، وظَلَمَ فاستغفرَ، أولئكَ لهم الأمنُ وهم مهتدون**»[١].

الشكر على نعم الله

عن أبي هريرةَ – رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقُولُ: «إنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَني إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِم مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شيء أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَونًا حَسنًا. فقَالَ: فَأيُّ المَالِ أَحبُّ إِليكَ؟ قَالَ: الإبلُ أَوْ قالَ: البَقَرُ – شكَّ الرَّاوي – فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فقَالَ: بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيهَا فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أَيُّ شيء أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَني النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعرًا حَسَنًا. قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِليْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلا، وَقالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيهِ بَصرهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً والدًا، فَأَنْتَجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإِبلِ، وَلِهذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انقَطَعَتْ بِيَ

---

(١) شعب الإيمان: تعديد نِعَم الله (٤١١٧).

الحِبَالُ في سَفَري فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتبَلَّغُ بِهِ في سَفَري، فَقَالَ: الحُقُوقُ كثِيرةٌ. فَقالَ: كأنِّي أَعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فقيرًا فأعْطَاكَ اللهُ!؟ فَقَالَ: إنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتى الأَعْمَى في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكينٌ وابنُ سَبيلٍ انْقَطَعتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسأَلُكَ بالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَركَ شَاةً أَتبَلَّغُ بِهَا في سَفري؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أعمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ ما أَجْهَدُكَ اليَومَ بشيء أَخَذْتَهُ للهِ - عزّ وجلّ- فَقَالَ: أَمْسِكْ مالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ. فَقَدْ رضي الله عنك، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ»[١].

وأنشد أبو الحسن الكندي القاضي[٢]:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم



(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦٤)، صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤)، السنن الكبرى للبيهقي: باب لا يورد ممرض على مصحّ (١٤٢٥١).

(٢) مختصر شعب الإيمان للقزويني (١/ ٦٦)، أدب الدنيا والدين للماوردي(١/ ٢٤٥).

فائدة

المؤمنُ الذي هو عندَ الله مؤمِنٌ حقيقةً، محققُ الإيمانِ، يكونُ بلاؤُه على حَسَبِ قوَّتِهِ في دينِه، يُزَادُ بلاؤُه في الدنيا على حَسَبِ ذلك. فالصّبرُ هو مَدَارُ النّجاحِ والفَلاحِ في الآخِرةِ، وهو حبس النفس وقهرها على مكروه تتحمله أو لذيذ تفارقه، وإذا اجتَمعت أنواعُ الصّبرِ الثّلاثةُ فَهِيَ أعلى المَراتِب، الصّبرُ على الطّاعةِ والصّبرُ عن المعصِيةِ والصّبرُ على الشّدائدِ والمصَائبِ. وقد قال رسول الله: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبر**»[١]. وعن عطَاء بن أبي رَباح، قَالَ: قَالَ لي ابنُ عَباسٍ رضي اللهُ عنهما: ألاَ أُريكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوداءُ أتتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إنّي أُصْرَعُ وإنِّي أتكَشَّفُ فادْعُ الله تَعالَى لي. قَالَ: «**إنْ شئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإنْ شئْتِ دَعوتُ الله تعالَى أَنْ يُعَافِيكِ**» فقالَتْ: أَصْبِرُ، فَقالَتْ: إنِّي أَتكَشَّفُ فادعُ الله أَنْ لا أَتَكَشَّف، فَدَعَا لَهَا[٢].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٦٩)، شعب الإيمان: باب في الصبر على المصائب (٩٢٥٨)، الآداب للبيهقي: باب في فضل الصبر وانتظار الفرج (٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المرضى: باب فضل من يصرع من الريح (٥٦٥٢)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (٢٥٧٦)، شعب الإيمان: باب في الصبر على المصائب (٩٤٩٣)، السنن الكبرى للنسائي: باب الطبّ (٧٤٤٨).

وقَد رَوى البيهقيُّ حَدِيثًا معناهُ أنّ النّاسَ يومَ القِيامةِ يَرونَ ما ينَالُه مَن ابتُلِيَ مِنَ المسلمينَ في الدُّنيا فصَبرَ منَ الأجرِ العَظِيم فيتمَنَّونَ أنْ لوْ كانُوا ابتُلُوا مِثلَهُم لِينَالُوا مثلَ أجْرِهم.

كثيرٌ مِنَ الأولياءِ يُصيبُهم في ءاخرِ حياتِهم فالجٌ. أحدُهم كانَ مِنَ التابعينَ، مِنْ شدةِ حُسْنِ ديانتِه قال له عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ صاحِبُ رسولِ الله ﷺ: «**لوْ رءاكَ رسولُ اللهِ ﷺ لأحبَّكَ**»[١]، مِنْ شدَّةِ ما أُعْجِبَ به، يُقالُ له الربيعُ بنُ خُثَيْمٍ، هذا التابعيُّ كان أصابَه فالجٌ فيسيلُ اللُّعَابُ مِنْ فمِهِ، وله مِنَ الدرجةِ في العلمِ والتقوى والزُّهْدِ حظٌّ كبيرٌ.

وكان ءاخَرُ بعدَ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ يُقالُ له عبدُ الواحدِ بنُ زَيْدٍ أصابَه فالِجٌ فدعا اللهَ تعالى أنْ يَرْفَعَه عنه للطَّهارةِ والصَّلاةِ، فعندما يريدُ الوُضوءَ والصَّلاةَ يَرْتَفِعُ عنه، ثم يَعودُ إليه.

هذا عندَ أهْلِ الفَهْمِ في الدِّينِ، أمَّا الجُهَّالُ الذين لم يَفهموا الدِّينَ كما يَجِبُ، يَظُنُّونَ أنَّ الذي تَكْثُرُ عليهِ المَصَائبُ هو قليلُ الحَظِّ في الخَيْرَاتِ، في الدَّرَجَاتِ عندَ الله. يظنُّونَ عكسَ الحقيقةِ. حتَّى إنَّ بعضَ الناسِ عندما يبدَؤونَ بالعبادةِ بالصَّلاةِ وتَرْكِ المعاصِي التي كانوا يعمَلُونَها تُصيبُهم المصائبُ فيقولونَ: هذه المصائبُ ما كانَتْ تُصيبُنا لَمَّا كُنَّا على غَيْرِ هذه الحالةِ، هذه المصائبُ أصابَتْنا لأنَّنَا أقبَلْنا على الطَّاعاتِ. هؤلاءِ على خطَرٍ

---

(١) صحيح ابن حبّان: فصل في قيام الليل (٢٥٧٦)، المعجم الكبير للطبراني (١٠٢٨٦).

عظيم، فمَنْ تشاءَمَ بالعبادةِ لأجْلِ هذا الأمرِ يَكْفُرُ، وسَبَبُ هذا البعدُ مِنْ تعلُّمِ عِلْمِ الدِّينِ على مذهبِ أهلِ الحقّ. فقد صحّ عن رسول الله ﷺ: «**إن من الصالحين مَنْ فرحُهُم بالبلاء أشدُّ من فَرَح الناس بالعطاء**»(١) من شدة ما تَمَكَّن في نفوسهم الرِضَا عن الله يفرحون بالبلاء أكثر من فرح الناس بالعطاء هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾(٢) معناه يسلّمون لله تسليمًا كاملاً مهما أصابهم من المصائب فإنهم لا يخرجون عن الرضا عن الله.

فالمسلمُ الذي يُواقِعُ المعاصي وهوَ ضعيفٌ في أمورِ الدِّين ويَبقى في عافِيَتِه وصحَّتِه وتنعُّمِه، هذا حظُّه قليلٌ في الآخرةِ، يدَّخِرُ له جزاءَ معاصِيْه إلى الآخرةِ، أمَّا المسلمُ الذي إذَا واقعَ بعضَ المعاصِي تصيبُه مصيبةٌ هذا يُكَفِّرُ اللهُ عنه في الدُّنيا بهذِهِ المصائب.

البسط في الراحة في راحة المعيشة ليس من الصفات العلية عند الله.

لو كان الأمر كذلك كان الأنبياء أكثر الناس في الدنيا راحة وبسطًا لكنهم على العكس.

قال رسول الله: «**إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه**

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب الإيمان (١١٩)، شعب الإيمان: باب في الصبر على المصائب (٩٣١٧)، الأدب المفرد: باب هل يكون قول المريض إني مريض شكاية (٥١٠).

(٢) سورة المائدة: ١١٩.

الماء» رواه مسلم[١].

فقد قال رسول الله ﷺ «**ما أوتي أحد خيرًا وأوسعَ من الصبر**»[٢].

الصبر ثلاثة أنواع فمن اكتمل فيه الأنواع الثلاثة من أنواع الصبر فهو من عباد الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا خوف عليهم في القبر ولا في الآخرة.

* الأول من أنواع الصبر الصبر على البلاء من فقرٍ أو مرضٍ أو أذى الناس.

* والثاني الصبر على أداء الطاعة أداء الواجبات وأداء الصلوات في البرد والحرّ وفي السفر وفي الحضر وعند الشغل وعند الفراغ والصبر على مشقة الصيام.

* والثالث الصبر على حبس النفس عن المحرمات. فمن اكتمل فيه هذه الأنواع الثلاثة صار من عباد الله الصالحين. وكان الأنبياء أشدّ الناس بلاءً في الدنيا ثم غير الأنبياء على حسب درجاتهم عند الله يكثر بلاؤهم.

---

(١) مسند أبي يعلَى: حديث عقبة بن رافع: (٦٨٦٥).

(٢) صحيح البخاري: باب الاستعفاف عن المسألة: (١٤٦٩)، موطأ مالك: باب التعفف عن المسألة: (٢١٠٧).

قصَّةُ نبيّ الله أيّوب عليه السلام

نبي الله أيوب عليه السلام كان عنده مال كثير وكان عنده أربعة عشر ولدًا سبعة ذكور وسبع إناث فابتلاه الله تعالى، إبليس هدّم البيت الذي فيه أولاده فقتلهم كلَهم، وأحرق مزرعته التي كانت تُغِلّ له غلةً كبيرة واسعة، ثم سلّط الله عليه المرض في جسمه فاستمرّ مريضًا ثمانية عشر عامًا. من شدة صبره ما سأل الله أنْ يعافيه. ثم مرة اثنان من إخوانه أمامه فقال أحدهما للآخر هذا أيوب أذنب ذنبًا ما أذنبه أحد من الناس لذلك اشتدّ بلاؤه عليه فانكسر خاطره فدعا الله أن يعافيه. وكان الناس في ذاك الزمن ما عندهم بيوت خلاء، إنما يخرجون إلى مكان يخفى عن أعين الناس تحت الأشجار يقضون حاجتهم، فقام لقضاء الحاجة إلى مكان وأبطأ في الرجوع، الله تبارك وتعالى أوحى إليه أن يضرب برجله الأرض فطلع عينُ ماء، أوحى الله إليه أن يشرب من هذا الماء ويغتسل، فعاد صحيحًا مثلما كان قبل ثمانية عشر عامًا، ما به أثر المرض. إمرأته رأت رجلاً فظنته أنه غيره، وهو هو أيوب. قالت له: «هل رأيت نبي الله المبتلى» فقال: «أنا هو» فقالت له: «هو كان أشبه الناس بك حين كان صحيحًا» فقال: «أنا هو» ثم كان له أبدران، أبدر قمح وأبدر شعير،

فأرسل الله له سحابتين، سحابةً تمطر على بيدر الشعير فضةً وسحابة تمطر على بيدر القمح ذهبًا. ثم رزقه الله من الأولاد مثل العدد الذي كان له.



قصَّةٌ فيها حكمةٌ كبيرةٌ

روى الإمامُ أحمدُ بن حنبل رضي الله عنه عن نَوْفٍ البِكَاليّ قالَ: انْطَلَقَ رجلٌ مؤمِنٌ ورجلٌ كافِرٌ يَصيدانِ السَّمَكَ، فجعلَ الكافرُ يُلقي شَبَكَتَه ويَذْكُرُ ءالهتَه فتمتلئُ سَمَكًا، ويُلقي المؤمنُ شبكتَه ويَذكرُ اسمَ اللهِ تعالى فلا يصطادُ شيئًا. ففعلا ذلكَ إلى مغيبِ الشَّمْسِ، ثمَّ إنَّ المؤمنَ اصطادَ سَمَكَةً فأخذَها بيدِهِ فاضطَرَبَتْ فوَقَعَتْ في الماءِ، فرجَعَ المؤمنُ وليسَ معَهُ شيء، ورجعَ الكافِرُ وقد امتلأتْ سفينتُه. فأسِفَ مَلَكُ المؤمنِ وقالَ: ربِّ عبدُك المؤمنُ الذي يدعوكَ رَجَعَ وليسَ مَعَه شيء، وعبدُكَ الكافرُ رَجَعَ وقد امتلأتْ سفينتُه، فأراهُ الله تعالى مَسْكَنَ المؤمنِ في الجنَّةِ، فقالَ الله: ما يضُرُّ عبدي المؤمن هذا ما أصابَه بعدَ أنْ يَصيرَ إلى هذا. وأرَاه مَسْكَنَ الكافرِ في النَّارِ فقالَ الله: هل يُغْنِي عنهُ مِنْ شيء ما أصابَه مِنْ شيء، قالَ الملك: لا واللهِ، يا ربّ[1].



(١) الزهد لأحمد بن حنبل: أخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (١٢١٩).

قصَّةٌ أخرى

قصة ءاسية بنت مزاحم: هذه ءاسية امرأة فرعون، لما عرف فرعون أنها مؤمنة لا تؤمن أنه هو الإله عذبها عذابًا شديدًا كان ينصب لها أوتادًا أربعة فيبطحها في الشمس، إحدى يديها بوتد والأخرى بوتد وإحدى رجليها بوتد والأخرى بوتد، في أشد ما يكون من حرّ الشمس كان يعذبها كلَّ هذا التعذيب مع ذلك ما طاوعته، ما قالت له اتركني ءامنت بك أنت ربي، لفرعون ما قالت، بل صبرت على الإيمان، فالله تبارك وتعالى جعل لها درجة عالية فجعلها هي أفضل المؤمنات عند الله تعالى بعد هؤلاء الثلاثة مريم وفاطمة وخديجة. هي صارت أفضلَ النساء بعد هؤلاء الثلاث وأكرمَهن عند الله منزلة يوم القيامة كذلك ماشطة بنت فرعون كانت مؤمنة تخفي إيمانها، فرعون ما يعرف أنها مسلمة لا تعبده بل يظنها أنها من جملة الذين يعبدونه ثم ذات يوم ظهر أنها لا تؤمن به فلم تطعه بل اختارت الموت على الإيمان ولا تؤمن به لأنه ألقى أولادها في الماء الذي يغلي حتى طفلها الرضيع لتترك دين الإسلام ولمّا أراد أن يرميها قالت له أريد منك حاجة قال ما هي قالت أن تجمع عظامنا وتدفنها فقال لك ذلك الله تعالى أعطاها منزلة عالية الله جعل قبرها روضة من رياض الجنة، ليلة أسري

برسول الله ﷺ مرّ بأرض قريبة من قبر هذه المرأة فشمّ رسول الله ﷺ رائحة زكية فقال لجبريل «يا جبريل ما هذه الرائحة؟ قال له جبريل «هذه رائحة ماشطة بنت فرعون» وقصّ عليه قصتها، الرسول ما كان قبل ذلك أوحي إليه قصة هذه المرأة إنما جبريل تلك الليلة هو أخبره وهما ذاهبان إلى بيت المقدس مرّا بقرب قبرها فظهر من قبرها هذه الرائحة الطيبة، فشمّها رسول الله ﷺ فسأل عن ذلك فأخبره جبريل. وهذا ما نالته إلا بالصبر إلا بقوة الصبر.

هو الإنسان عند الإكراه (التهديد بالقتل) يجوز له إذا أعطى الكافر بلسانه وهو مطمئن بالإيمان من كلمة الكفر ما عليه ذنب، لكن إذا صبر وقتل أفضلُ عند الله تعالى.



الرَّسُولُ ﷺ كانَ كلامُه فَصْلا[١]، لَوْ أرادَ الشَّخْص أنْ يَعُدَّ كلماتِه لَعَدَّها.

اللَّيَاقَةُ وَاللَّبَاقَةُ فِي التَّحَدُّثِ

وقد جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ: «**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ طويلَ الصَّمْتِ قليلَ الضَحِكِ، كانَ ضَحِكُهُ تبسُّما**»[٢]. من أَحَبَّ رسولَ الله ﷺ يَقتدي به، الرسولُ كان طويل الصمت فليَقتَدِ به الإنسان وإلا فإنه على خطر، لأن الإنسان إذا كثر كلامه يكثر سَقَطه وهذا السقط قد يكون معصية أو كفرًا فمن أطال الصمت حفظ نفسه من هذا ومن هذا. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «**مَنْ كَثُرَ كَلامُه كَثُر سَقَطُه**»[٣].

وفي الحَديثِ «**إيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فإنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ يُمِيْتُ القَلْبَ، وَيَذهَبُ بِمَاءِ الوَجْهِ**»[٤]. معناه الذي يُكْثِرُ الضَحِكَ هَيْبَتُهُ تَسقُطُ وَقَلْبُهُ يَكُوْنُ فَاسِدًا. لذلكَ كَثْرَةُ الضَّحِكِ لا خَيْرَ فِيْها.

---

(١) السنن الكبرى وعمل اليوم والليلة للنسائي (١٠١٧٣، ٤١٢)، السنن الكبرى ومعرفة السنن والآثار للبيهقي (٥٧٥٧، ٢٣٣٠٢).

(٢) شعب الإيمان: باب الخوف من الله تعالى (٩٠٢)، المستدرك للحاكم: ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الفقهاء (٥١٧٧)، مسند أحمد: حديث جابر بن سمرة (٢٠٨١٠)، السنن الكبرى للبيهقي: باب ما كان مطالبا برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام (١٣٣٣٩).

(٣) ذكره الطبراني في المعجم الأوسط ومسند الشهاب للقضاعي وغيرهم مرفوعًا عن ابن عمر حديث (٦٥٤١)، ونسبهم بعضهم إلى عمر بن الخطاب وشُفَيٍّ الأَصْبَحِيِّ والحسن البصري.

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الحزن والبكاء (٤١٩٣)، سنن الترمذي: باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٨٠٩٥).

هوَ الشَّخْصُ لأَجْلِ مُلاطَفَةِ الأَصْدِقَاءِ لا بدّ أنْ يَضْحَكَ بَعْضَ الأَحْيَانِ لَكِنْ مَعَ الاحْتِيَاطِ.

وتَقْلِيْلُ الكَلامِ مطلوبٌ، يُعِيْنُ الشَّخْصَ على أمْرِ الدِّيْنِ. شَيْطَانُ الشَّخْصِ إذا وَجدَ الإنسانَ قليلَ الكلامِ يَنْزَعِجُ، وإنْ وَجدَه كثيرَ الكلامِ يفرَح، يقولُ أُوقِعُهُ.

وقد كان سَيِّدُنا أبو بَكْرٍ الصديقُ رضي الله عنه يخافُ شرّ اللسانِ، فقدْ وَرَدَ أنَّه أخذَ لسانَه وقالَ: «**هذا الذي أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ**»[١]. فإنَّ مَنْ أَكْثَرَ الكلامَ بغيرِ الخَيْرِ لا بدّ أنْ يَحْصُلَ منه إمَّا معصيةٌ وإمَّا تضييعٌ للوقْتِ، وبعضُهم يَقعُونَ في الكُفْرِ مِنْ كَثْرَةِ الكَلامِ، فَمَنْ أرادَ السَّلامَةَ فَلْيُقَلِّلْ كَلامَه. وقد روى مالك في الموطأ أن نبي الله عيسى عليه السلام رأى خنزيرًا فقال اذهب بسلام ورُوِيَ أن عيسى عليه السلام مرّ بكلبٍ ميّت فقال بعض أصحابه ما أشدَّ نتن هذا الكلب فقال ما أشد بياضَ أسنانه[٢] ليعودهم الكلام الحسن. ومن عَلامةِ قُوّة الرَجُل في دِينه أن يَترُك ما لا فائدة فيه من الكلام وغير ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مِن حُسْنِ إسلام المرء تَرْكُه ما لا يَعنِيه**»[٣]، ومعناه تَرْكُ ما

---

(١) موطأ مالك: باب ما يخاف من اللسان (٢٠٧٨)، شعب الإيمان: فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه (٤٥٩٦).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: أحاديث مالك بن دينار: (٢/ ٣٨٢).

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن: باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، شعب الإيمان: فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه (٢٩٩)، صحيح ابن حبّان: باب ما جاء في صفات المؤمنين (٢٢٩)،

لا يَنفعه من القول والعمل. عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**ألا أَدُلُّكَ على خَصْلتين هما أخَفُّ على الظَهر وأَثقَلُ في الميزان**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**حُسْن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما إنْ تَجَمَّلَ الخلائقُ بمثلهما**»[١] إنْ هنا زائدة للتأكيد، وفي رواية «**ما عَمِلَ الخلائقُ بمثلهما**»[٢] فطول الصمت أن يترك الإنسان الكلام عن الشيء الذي لا يعنيه، وإنَّ الذي يُكثر الكلام فيما لا يجب مُهْلِكٌ نَفْسَهُ لا محالة.

فيَنْبَغِي تَوْجيهُ اللِّسَانِ في طريقِ الخَيْرِ والفَضِيلةِ وتَحْسينِ الكلامِ، بحيثُ يكونُ لائقًا لَبِقًا، وهوَ ما يُمْكِنُ أنْ يُدْعَى باللَّيَاقَةِ واللَّبَاقَةِ في التَّحَدُّثِ.

إنَّ اللَّيَاقَةَ هي المناسَبَةُ، واللَّبَاقَةُ عمومًا هي اللُّيُونَةُ في الأخلاقِ واللَّطافَةُ والظَّرافةُ، وأنْ يكونَ الكلامُ لائقًا يعني أنْ يكونَ مناسِبًا وحَسَنًا. وأنْ يكونَ لَبِقًا يعني أنْ يكونَ لَيِّنًا ولطيفًا وظريفـًا. ومِنَ المهمِّ التنبُّه إليه أنَّ اللياقةَ واللباقةَ في الكلامِ مع الناسِ ينبغي أنْ تكونَ مُنبعثةً مِنَ الإخلاصِ والنيَّةِ الصادقةِ والسَّريرةِ الصالحةِ. واللياقةُ واللباقةُ - كخُلُقٍ وأدَبٍ - مطلوبةٌ في الحديثِ العاديِّ وفي الحوارِ الكلاميِّ وفي المُباحَثَةِ والنقاشِ.

فلا ينبغي أن يُضِيع الإنسان وقته في الكلام غير النافع، فقد قَالَ رَسُول

مسند أحمد: حديث الحسين بن علي (١٧٣٧).

(١) شعب الإيمان: فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه (٤٥٩١)، مسند أبي يعلى: حديث ثابت بن أنس (٣٢٩٨).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: باب الميم (٧١٠٣).

الله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**»[١].

وأنشد محمد بن أحمد السجستاني بالبصرة لنفسه [السريع][٢]:

أنبأنا خَــــيْرُ بَنِــي ءَادَمٍ   وما عَـلى أحمـد إلا البَـلاغ
النـاسُ مَغبونُـون في نِعْمَتَـيْ   صِحـة أَبدَانهـم والفَـراغ

قال بعضُ الصُوفيّة: «**الوقتُ أَعَزُّ الأشياء عليكَ فاشْغَلْهُ بأَعزّ الأشياء: اللهِ رَبّ العالمين**»، أي الوقت شيءٌ عزيز والله أعزّ الأشياء فاصرف أوقاتك في طَاعةِ الله. وقال بعضُ الأكابر: «**الفَرَاغُ سَيف إن لم تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ**» ومعناه إن لم تشغله بما يعني شغلك بما لا يعني.

الشباب والفراغ والغنى على كثير من الناس مَفْسدة. قال أبو العتاهية[٣] [الرجز]:

إن الشـبابَ والفَـرَاغَ والجِـدَة   مَفْسَـدةٌ للمَـرء أَيُّ مَفْسَـده

الشبابُ على كثير من الناس مفسدة وكذلك الفراغ وكذلك الغِنَى، مَن لم يَحفظ نفسه في هذه الأحوالِ الثلاثِ يَهلِكُ.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب لا عيش إلا عيش الآخرة (٦٤١٢)، سنن الترمذي: باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس (٢٣٠٤)، سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الحكمة (٤١٧٠).

(٢) شعب الإيمان: باب الزهد وقصر الأمل (٩٧٧٠).

(٣) لسان العرب: مادة ف س د (٣/ ٣٣٥)، لباب الآداب للثعالبي (١/ ١٧٢).

كيف يكسب المرء وُدَّ الناس وَحُبَّهم له؟



أنْ يُحَبِّبَ المرءُ الناسَ إليه ويصبحَ محبوبًا بينَهم تلك رغبةٌ وغايةٌ يَجِدُّ في طَلَبِها كثيرٌ مِن الناسِ، واهتمامٌ مِنَ الاهتماماتِ الأساسةِ لكلٍّ منْهُم.

ومِنْ أجلِ أنْ يَتَحبَّبَ المرءُ إلى الناسِ لِيُحِبُّوه يتبع الأمور الآتية:

١- القُرْبُ مِنَ النَّاسِ

ومِمَّا يُؤْسَفُ له أنَّ بعضَ الناسِ يبتعدُ عنِ الناسِ ولا يتقرّبُ إليهم وينتظرُ منهم أنْ يحبُّوه بل ربما يفتخِرُ البعضُ أنَّ الناسَ يتقرَّبونَ إليه ويتودَّدونَ وهو يبتعدُ عنهم.

جديرٌ بالمرء أنْ يتودَّدَ إلى الناسِ الطيِّبينَ ويَغْتَنِمَ فرصةَ إقبالِهم عليه. فقد جاءَ في الحديثِ أنَّ الجَلِيسَ الصَّالحَ خَيْرٌ مِنَ الوَحدةِ، والوَحدةَ خيرٌ من جليسِ السُّوْءِ.

قال أبو العتاهية[١]:

وحـــــدة الإنـــســــان خير　　مــن جليس الــســوء عنده
وجـــلـــيـــس الخـــــير خير　　مــن جـلــوس المـــرء وحــده

فمَنْ أرادَ الرُّقِيَّ فَلْيُصَاحبِ الأخيارَ، فقد قالَ بعضُ العلماءِ: «قدْ يَرْحَمُ اللهُ عبدًا مُسِيئًا بِصُحْبَتِهِ لعبْدٍ تقيٍّ».

وورد أنَّ الرسولَ ﷺ كانَ جالسًا بينَ الصحابةِ فأتى رجلٌ فقال: «**أيُّكمْ محمَّدٌ**»؟ فقيلَ لَه: «**ذاكَ الأبيضُ المتّكئُ**»[٢]. فذاكَ دليلٌ أنَّ الرسولَ ﷺ ما كانَ يَتَمَيَّزُ عَنْ أصحابِه في المجلسِ ولا في الملبَسِ.

٢- إسْبَاغُ التَّقْدِيرِ الخَالِص

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ**»[٣].

أيْ أنَّ كَمَالَ شُكرِ اللهِ يَقتضِي شُكْرَ الناسِ. وشُكْرُ الناسِ يكونُ بالمكافأةِ والدعاءِ ونحوِ ذلك.

---

(١) الصداقة والصديق لأبي حيّان (ص/ ٣٠٩)، اللطائف والظرائف (ص/ ١٢٧).

(٢) صحيح البخاري: باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ (٦٣)، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها (١٤٠٢)، سنن أبي داود: باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (٤٨٦)، سنن النسائي: باب وجوب الصيام (٢٠٩٢).

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٥)، الأدب المفرد: باب من لم يشكر الناس (٢١٨)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (٧٥٠٤).

روى الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى عن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة فقال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك، فقال رسول الله ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[١].

هو هذا الرجل كان قدم لرسول الله خدمة صغيرة والرسول كان من كرم أخلاقه يحب أن يكافئ من عمل له معروفًا يحب أن يكافئه في الدنيا فقال له: «**سل**» أي سلني قال: أسألك مرافقتك في الجنة، وهذا شيء لم تجر به العادة بين البشر أن يطلبه واحد من آخر، ما قال له يا رسول الله أسالك ناقة تحملني أستعين بها في أسفاري ما قال له يا رسول الله أطلب منك فرسًا أركبه وأستعين به في أسفاري، طلب منه شيئًا لم تجر به العادة بين الناس قال له: «أسالك مرافقتك في الجنة» ما قال له أشركت كيف تطلب مني شيئًا لم تجر به العادة بين الناس ما قال له، هو طلب من رسول الله مرافقته في الجنة فقال له: «**أو غير ذلك**» قال: «هو ذاك» فقال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» ما قال كيف تطلب مني أنا عبد مثلك شيئًا لم تجر به العادة أن تكون رفيقًا لي في الجنة هذا لا يجوز فضلًا عن أن يقول له هذا شرك، لأنه ليس عبادة لغير الله مجرد طلب أمر لم تجر به العادة بين الناس.

---

(١) صحيح مسلم: باب فضل السجود: (٤٨٩)، وسنن أبي داود: باب وقت قيام النبيّ ﷺ من الليل: (١٣٢٠).

وقد وردَ في الحديثِ أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ: «**ما مِنْ أحَدٍ لهُ مِنَّةٌ عليَّ كأبي بَكْرٍ**». الرسولُ ﷺ فضلُه على أبي بكرٍ رضي الله عنه أفضلُ ممَّا بذلَه أبو بكرٍ للرسولِ ﷺ مِنَ المالِ ورُفقَتِهِ في الهِجرةِ، لأنَّه هو أنقذَه مِنْ عبادةِ الأوثانِ إلى درجةِ الإيمانِ التي هي السعادةُ الأبديةُ، فضلُ أبي بكرٍ رضي الله عنه بالنسبةِ لفضلِ الرسولِ ﷺ عليه كلا شيء. باتّباعِ الرسولِ صارَ أفضلَ هذه الأمةِ بعد النبيّ، مقابلَ هذه ماذا تكونُ مساعدةُ الرسولِ بالمالِ والصُّحْبةِ. معنى الحديثِ «**ما مِنْ أحدٍ له منةٌ عليّ كأبي بكرٍ**» بالنِّسْبَةِ للمَالِ ما قَدَّمَ أَحَدٌ مُساعدةً مِنَ المالِ للمصْلَحةِ الإسلاميةِ كما قدَّمَ أبو بكرٍ رضي الله عنه، كان في أصحابِ رسولِ اللهِ قلةٌ مِنَ الأغنياءِ، أبو بكرٍ كان له مالٌ كثيرٌ، أنفقَ في خدمةِ رسولِ اللهِ ﷺ أربعينَ ألفًا في حُبِّ اللهِ ورسولِه، في ذلكَ الوقتِ هذا المبلغُ نَفْعُهُ كَبيرٌ، كَذَلِكَ عمر كذلك عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنه وكذلكَ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوفٍ.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله أبا بكر زوّجني ابنته وحملني معه إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله، وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّا لقد تركه الحق وما له من صديق، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة وجهّز جيش العُسْرة وزاد في مسجدنا حتى وَسِعَنا، رحم الله عليًا اللهم أدر الحق معه حيث دار**»[1].

---

(١) سنن الترمذي: باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٧١٤)، المستدرك على الصحيحين:

قالَ المتنبي الشاعر: [البسيط]

لا خيـلَ عندَكَ تـهديهـا ولا مالُ   فليُسْـعِدِ النطقُ إن لم تُسْعدِ الحالُ

حقًّا إنَّ إسباغَ التقديرِ الخالصِ على الآخرينَ وجعلَهم يُحسُّون بأهميتِهم مبدءانِ على جانبٍ عظيمٍ منَ الأهميةِ في السلوكِ الإنسانيِّ وفي التعاملِ بين الناسِ وكسبِ وُدِّهِم وحبِّهم والدخولِ إلى قلوبِهم.

إن الناس يُقْبِلُون على من يحبّهم، ويحبّون من يُقَدِّرهم ويحسن إليهم، ولكي يجعل المرء نفسه محبوبًا بينهم جدير به أن يَعِيَ هذه القاعدة السلوكيةَ البالغةَ الأهميةِ.

فمثلاً لكي يَسْعَد المرءُ في حياته الزوجية ينبغي له أن يقدّر امرأته فينبغي لو وجدها أعدت له طعامًا ولم يكن بالهيئة المُعْجِبة أن لا يُظْهِر ضِيقه ولو تضايق بل يفعل معها ما يفعل الكريم مع زوجته ويعمل معها عمل من أحسن إليه المُحْسِن ويعتبر نيتها لا ما تَمَّ لها مِن طعام، ليقدّر هذه الخدمة التي قامت بها له وما تقوم به من سائر الخِدمات الأخرى، فهذا يؤدّي إلى كسب ودّ الزوجة وحبها. وقد قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»[1]. معناه الذي يحسن معاملة زوجته، يعاملها

كتاب فضائل الصحابة (٤٤٤١)، مسند أحمد: حديث ربيعة بن كعب الأسلمي (١٦٥٥٧).

(١) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب حسن معاشرة النساء (١٩٧٧)، سنن الترمذي: باب في فضل أزواج النبي ﷺ (٣٨٩٥)، شعب الإيمان: باب في رحم الصغير (٨٣٤٤).

بالتواضع والعطف والرحمة والإحسان والعفو إذا هي أساءت يكون من أفضل الرجال، لأن الذي يكون مع امرأته هكذا يكون مع الغير هكذا، كثير من الرجال على خلاف هذا الحديث يعاملون نساءهم، لا يتواضع أحدهم معها يترفع عليها هذا لا ينبغي، ينبغي أن يتواضع معها ويحسن إليها ويصفح ويعفو عن سيئاتها، لا يقابل الإساءة بالإساءة. لو كان للشخص زوجة عقلها ضعيف فليدارها، يعاملها بالمداراة بحكمة، الطفل عقله ضعيف كيف تعامله؟ أليس بالرحمة والحكمة والشفقة والمداراة؟!

عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلعٍ، وَإِنَّ أعْوَجَ مَا في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإنْ ذَهَبتَ تُقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ**»[١].

وكذلك ورد حديث في حق معاملة الزوج والإحسان إليه وطاعته فعن أم سَلَمَة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ**»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أعظمُ الناسِ حَقًّا على المرأةِ زوجُها**»[٣]. فإنَّ إحدى الصحابيات لمّا علمت بحقوق

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب الوصية بالنساء (١٤٦٨)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب القسم والنشوز: باب حق المرأة على الرجل (١٤٧٢٢)، سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب حق المرأة على الزوج (١٨٥١).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب حق الزوج على المرأة (١٨٥٤)، سنن الترمذي: باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (١١٦١)، شعب الإيمان: حقوق الأولاد والأهلين (٨٣٧٠)، المستدرك للحاكم: كتاب البر والصلة (٧٣٢٨)

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب البر والصلة (٧٣٣٨).

الزوج على الزوجة رفضت أن تتزوج خوفًا من عدم القيام بحق الزوج.

فإن الزوج إن كان يعامل زوجته بالعدلِ بلا ظلمٍ، وهي أطاعته ولم تقصرْ في حقّه، يومَ القيامة لا ينفِرُ هو منها، ولا تنفِرُ هي منه، أما إن كانا يتعاملان في الدنيا بالظلم، يومَ القيامة هو يفرُّ منها، وهي تفرّ منه، خوف أن يطالِب أحدهما الآخرَ بمَظْلَمةٍ. فقد قال رَسُول الله ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[١].

فالمرأة إذا كانت تعامل زوجها بالإحسان مع إساءته والرجل إذا كان يعامل زوجته بالإحسان هي تسيء إليه وهو يحسن إليها له عند الله مزيد أجرٍ لأن كسر النفس بالحق عند الله تعالى له درجة عالية، فالرجل إذا أساء إلى زوجته فضربها بغير حقٍ يستحق العقوبة في الآخرة وإن منعها النفقة وهو قادر يستحق العذاب في الآخرة، والمرأة إذا آذت زوجها إذا كانت لا تشكره على الجميل إذا غضبت غضبة تقول ما رأيتُ منك خيرا قطّ هذه تستحق عذابًا في الآخرة أما إذا ندمت قبل أن تموت وسامحها زوجُها غفر الله لها، الإنسان إذا لم يُبرّىء ذمته في الدنيا الخصومة هناك أشدّ يظهر الحق ذلك اليوم فيقتصُ المظلوم من الظالم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، الخصومة هناك يظهر فيها الحق على التمام، ودعوة المظلوم مستجابة فقد جاء في الحديث

---

(١) صحيح البخاري: كتاب قصاص المظالم: باب الظلم ظلمات يوم القيامة (٢٤٤٧)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم، سنن الترمذي: باب ما جاء في الظلم (٢٠٣٠).

الصحيح: «**اتّقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمَل على الغمام**»، ويقول الله عز وجل: «**وعزتي وجلالي لأنصُرنَّك ولو بعد حين**» رواه الطبراني[١].

وورد في الحديث أن الرسول ﷺ كان لا ينتقد الطعام إن أعجبه أكل وإلا تركه.

قد يدخل المرء مَطْعمًا لتناول الطعام ويَحْدُثُ أن يتأخر خادم المطعم في إحضار الطعام له، أو يأتيه بطعام هو غير ما يريد فليس له لمجرد هذا أن يهين الخادِم، وبإمكانه أن يقول له: لا أريد إزعاجك، حبّذا لو تسرع قليلاً في إحضار الطعام، وسيجد أن خادم المطعم يُسَرُّ بخدمته وذلك لأنه قدّره وأظهر احترامه له.

وهكذا لكي يحبّه الناس حري به أن يعاملهم بإخلاص ونزاهة وأن يظهر اهتمامه بهم، ويجعلهم يشعرون بأهميتهم بذلك.

٣- أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير

فعن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير**»[٢] أي لا يكون كامل

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: باب دعوة المظلوم: (١٣١٧).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٣)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٧١)، سنن ابن ماجه: باب في الإيمان (٦٦)، سنن الترمذي: صفة القيامة والرقائق

الإيمان. واليوم قد تجد من بين مليون مسلم اثنين أو ثلاثة يطبّقون هذا الحديث. والوصية بمحبة الخير لغيركم كما تحبّون لأنفسكم قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير**»[١] وهو حديث صحيح. والأوّلُ مشهور أيضًا لكِنّ هذا أعمُّ من حيثُ المعنى. المؤمنُ يحِب للمؤمنِ أن تكون حالتُه حسنةً ولا يُحِبُّ له الشرّ أي فعلَ ما لا ينبغي، كذلك المؤمنُ يحب للمؤمن الترقي في العمل ويحب للكافر الخيرَ وهو أن يسلمَ لأنه إن أسلمَ تكتبُ له حسناتٌ وتُغفرُ له ذنوبٌ، أما إن بقيَ على كفرِه لا يكسِبُ حسنةً مهما نفعَ الناسَ لو بنى ألفَ مسجد وأنفقَ على مائةِ ألفِ يتيمٍ وأرملةٍ ليس له شيءٌ من الحسنات.

وقال ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**»[٢].

ويحكى أن رجلاً عابدًا كان في مسجد يدعو الله، وكان من جملة دعائه «اللهم ارزقني طعامًا بصفة كذا وكذا بلون كذا وكذا بطعم كذا وكذا» ثم نام وكان في المسجد تاجر سمعه فقال في نفسه «إنه يدعو حتى أحضر أنا له هذا الطعام فوالله لن أحضر له هذا الطعام» ثم بعد قليل إذا برجل

والورع عن رسول الله ﷺ: باب (٢٥١٥).

(١) مسند أبي يعلى: مسند أنس بن مالك (٣٠٨١)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان للهيثمي: باب في الإسلام والإيمان (٢٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، شعب الإيمان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٢٠٣).

يدخل من باب المسجد ومعه الطعام بالصفة التي دعا بها العابد فيضع الطعام أمام العابد ويريد أن يَخْرُج فيمسكُه التاجر ويقول له «بالله عليك إلا أخبرتني قصة هذا الطعام، الآن دعا والآن حضر له الطعام»، فقال الرجل «أنا حمّال ومنذ سنة وامرأتي تطلب هذا الطعام ولا أستطيع أن أشتريه، اليوم حَمَلْتُ لرجل فأعطاني شيئًا من الذهب فاشتريتُ به الطعام وبينما زوجتي تُعِدُّه لي نمت فرأيت في المنام رسول الله ﷺ يقول لي إن في المسجد وليًا من أولياء الله إن أخذت له هذا الطعام جعل الله لك البركة في طعامك وإني أضمن لك الجنة» فانتبهت من نومي فأخذت الطعام وأحضرته لهذا العابد فقال التاجر أعطيك عشرة أضعاف الطعام وتعطيني الثواب فقال لا، قال عشرين ضعفًا قال لا، قال أربعين ضعفًا قال لا ولو بالدنيا كلّها لا أعطيك ما ضمن لي رسول الله ﷺ.

وروي عن رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هو خيرٌ صدوقُ اللسان محمومُ القلب**» قالوا صدوق اللسان نعرفه فمن هو المحموم قال: «**هو التقي النقي الذي ليس في قلبه لإخوته المسلمين غلٌّ ولا بغيٌ ولا حسد**»[1].

فما أجمل المؤمن حينما يحب للناس ما يحبّه لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، إنه يصبح محبوبًا بينهم، يذكرونه بكل خير، ويفرحون حين ملاقاته، ويشعرون بالوحشة حين مفارقته، ويشاركهم ءالامهم وقضاياهم،

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الورع والتقوى (٤٢١٦)، شعب الإيمان: حفظ اللسان عما لا يُحتاج إليه (٤٤٦٢).

ويسعى في خدمتهم، وفي قضاء حوائجهم. ولينظر المرء في معاملاته التي يجريها مع الناس في يومه وليلته ليرى هل هو قريب منهم يعاشرهم بالمعروف أم لا؟ فلا ينبغي أن نتعامل مع الناس بطريقة الإيهام التي تلحق الضرر بالآخر كالتاجر الذي يوهم المشتري أنه لا يربح عليه الكثير وهو يربح عليه الكثير في البيع هذه خصلة قبيحة، إن أراد أن يربح الكثير يصارحه يقول له أنا سعري زائد فإما أن يدخل معه وإما أن يترك معاملته، لأنه بعد ذلك إن عرف أنه ربح عليه الكثير لا يندم لأنه دخل معه على الصراحة، أما إذا أوهمه فظن أنه لا يربح عليه إلا قليلا ثم تبين له أنه ربح عليه كثيرًا يستوحش قلبه وهذا يدخل في الغش يقول هذا صاحب سوء صاحب شر يكرهه قلبه لو أظهر له الوِدَّ لكن قلبه نفر، فالتورية التي فيها إضرار بالمسلم هذه بئست الخصلة. ويدخل في محبة الخير لأخيه المؤمن أن يحذّره مما يضرّه في دينه أو دنياه. وقد روي حديث: «المؤمن يألم لأهل الإيمان كما يألم الرأس في الجسد»[1]. لذلك كان بعض الأنصار في المدينة المنورة يتنازل عن قسم من ماله للمهاجر وكان بعضهم تنازل عن إحدى امرأتيه فطلقها ليتزوجها المهاجر.

---

(١) مسند أحمد: حديث سهل بن سعد (٢٢٨٧٧)، مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد: ما ذكر عن نبينا ﷺ في الزهد (٣٤٤١٦)، المعجم الكبير للطبراني: حرف الميم (٥٧٤٣).



إلقاء السلام

وقد جاء في الحديث: «**دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك ءامين ولك بمثل ذلك**»[١].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾[٢].

وقد سئل رسول الله ﷺ أيُّ الإسلامِ أحسنُ فقال: «**أن تُطْعِمَ الطَعام وتَقْرَأَ السلام علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَم تَعْرِفْ**»[٣] أي من الأمور التي يدعو إليها الإسلام أن تطعم الطعام، وتسلّم على من تعرف وعلى من لا تعرف.

في رواية لمسلم أنه ﷺ قال: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ...**»[٤].

«السلام عليكم» ما أجملَ وأعظمَ هذه الكلمةَ اللطيفةَ حينما يعلنها

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد: مسند أبي الدرداء (٢٠١).

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب إطعام الطعام من الإسلام (١٢) وباب إفشاء السلام من الإسلام (٢٨)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٦٣)، سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة: باب إطعام الطعام (٣٢٥٣)، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه: باب أيّ الإسلام خير (٥٠٠٠).

(٤) صحيح مسلم: كتاب السلام: باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢)، الأدب المفرد للبخاري: باب تشميت العاطس (٩٢٥)، شعب الإيمان للبيهقي: باب ردّ السلام: فصل في المكافأة بالصنائع (٨٧٣٧)، صحيح ابن حبّان: باب ما جاء في صفات المؤمنين (٢٤٢).

المرء لمن يلقاه، إنها إعلان وإعلام لحالة السِلْمِ والصلح والأمان والوئام بين الطرفين المُتَلاقِيَيْن. وبدء المسلم بالسلام سنة لم يختلف في ذلك علماء الإسلام.

ومن ءاداب السلام ما جاء عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**»[١]. فالقادم الزائر يبدأ بالسلام وإن سبقه المَزُوْرُ يَرُدُّ الزائر عليه، وإن كان الزائر لم يسلّم نقول له مرحبًا، وإن سلّم نرد عليه ثم نقول له مرحبًا. كلمة مرحبًا في الأصل معناها جئتَ مكانًا واسعًا.

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[٢].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب تسليم الراكب على الماشي (٦٢٣٢) وباب تسليم الماشي على القاعد (٦٢٣٣)، صحيح مسلم: كتاب السلام: باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير (٢١٦٠)، سنن الترمذي: أبواب الاستئذان والآداب: باب ما جاء في تسليم الراكب على الماشي (٢٧٠٣)، السنن الكبرى للبيهقي: باب يشترط عليهم أن يفرقوا بين هيئتهم وهيئة المسلمين (١٨٧٢٠).

(٢) سنن الترمذي: أبواب الاسئتذان والآداب: باب ما جاء في إفشاء السلام (٢٦٨٨)، سنن أبي داود: باب في إفشاء السلام (٥١٩٣)، سنن ابن ماجه: باب في الإيمان (٦٨) و باب إفشاء السلام (٣٦٩٢)، الأدب المفرد للبخاري: باب إفشاء السلام (٩٨٠).



الكلمة الطيّبة

قال رسول الله ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[١] معناه الكلام الحسن صدقة كل كلام حسن يتكلم به الشخص صدقة أي فيه ثواب كما أن الصدقة فيها ثواب وفي رواية قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[٢]. الكلام صنفان كلام طيب وكلام خبيث، الكلام الذي يتكلم به الإنسان ما كان من طاعة الله من الحسنات فهو يقال له كلمة طيبة وما كان خبيثًا يقال له كلمة خبيثة، كثيرة هي العبارات اللطيفة التي تَجعل الشخص الآخر سعيدًا يَشعر بالتقدير والاحترام والأهمية وتجعله يميل إلى حب القائل ووُدِّه نحو: «هل أطمع في...» «هل تتفضل بــ...»«هل تسمح لي أن...» «إني أشكر لك...» «أقدّر فيك...» «يعجبني فيك...» «لو تكرمت... » «ما تقوم به كخدمة للناس... » «أنت شخص لك دور مهم في...»

وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحبّ أن يُزحزح عن النار ويُدْخَلَ الجنة**

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩) وباب طيب الكلام (٦٠٢٢)، صحيح مسلم: كتب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة: باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (١٤١٧) وكتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار (٦٥٦٣) وكتاب التوحيد: باب كلام الرب عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٢)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (١٠١٦).

فلتأته منيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الناس بما يحبّ أن يُؤتى إليه»[١].

هذا الحديثُ يُعَلِّمنا فيه رسولُ الله ﷺ أنَّ من أراد النجاة من النار والفوز بالجنة فليعمل بهذه الأمور وهي الإيمان بالله واليوم الآخر وما يلزم مع ذلك من أمور الإيمان ويعامل الناس بما يحبّ أن يعامله الناس به، كل واحد ينبغي أن يعامل الناس بما يحبّ أن يعامله الناس به، الواحد منا يحب أن يعامله الناس بالصدق لا بالكذب، بالأمانة لا بالخيانة والغَش، كذلك ينبغي على أحدنا أن يعامل الناس بمثل ذلك، نَصْدُقُهم في حديثنا معهم ونعاملهم بالأمانة، لا بالغَشّ والخيانة، وبالعفو والصفح إذا أساءوا إلينا، كذلك أحدنا يحبّ أن يعمل الناس معه الشيء المعروف، العمل الحسن، كذلك نحن لنعامل الناس بالمعروف، ولا يقل أحدنا: هم أساءوا إليَّ فأنا أسيء إليهم، نعامل الذي أساء إلينا بالإحسان، نَكْسِر أنفسنا نخالف أنفسنا، لأنَّ نفس الإنسان تحب أن تكون هي العالية على الناس، هذا معنى الحديث. وأكثر الناس بعيدون عن العمل بهذا الحديث، لو عملوا بهذا الحديث لكانوا أولياء. هكذا الذي يريد الفوز في الآخرة لا يطع هواه بل يخالف هواه، الإنسان إذا عَظُم في قلبه أمر الآخرة هان عليه مخالفة هواه، الهوى ما تميل إليه النفس، النفس مجبولة على حبّ أشياء: حب الشهوات كالأكل والشرب وغير ذلك وعلى حب التعالي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل (١٨٤٤).

وعلى حب الترفع وهذا أمر مذموم عند الله ثم فيه ضرر على الشخص، يضرّهُ في دينه، مخالفة النفس أمر مهم قال بعض الأولياء من الصوفية: «أعدَى أَعدائِكَ نَفْسُك التي بين جنبيك»[1] معناه ليس عدوّ الإنسان الشيطانَ فقط نفسُه أيضًا عدوّه لأنه إن أطاعها في هواها تهلكه وذلك يساعد الشيطان على الشخص. فقد رأى بعض الأولياء وليًا ءاخر متربعًا في الهواء فقال: «بم وصلت إلى هذه المرتبة» قال: «بمخالفتي نفسي». لو أن إنسانًا سبّه يقول أنا أعفو عنه فلا يقابله بالسبِّ ولو كان يعلم فيه ما يُسبّ به، ولو كان هو افترى عليه وسبّه بما ليس فيه لا يقل هذا سبّني بما ليس فيّ فكيف أسكت لأنتقم منه، إذا ترك الانتقام خير له، زين العابدين رضي الله عنه ابن سيدنا الحسين الذي كان يُقال له السجّاد، كان من أجمل الناس خِلقةً ومن أحسن الناس خُلُقًا ومن أسخى الناس، الناس من حسن حاله ومنظره كانوا يهابونه أكثر من الملوك، هذا أهانه شخص في وجهه فسكت، ما ردّ عليه، ما انتقم منه، فذاك لمّا وجده لا يرد عليه قال له: «إيّاك أعني» فقال: «وعنك أغضي»، معناه أنا عمدًا أسكت عنك لا أعاملك بالمثل، فذلك الرجل تراجع في نفسه وندم على ما فعل، قال في نفسه أنا عاملته بالشتم والإهانة وهو ما قابلني بالمثل بل أغضى عني فوبّخ نفسه، لامَ نفسه. هكذا المؤمن ينبغي أن يُعامِلَ الناس بالعفو

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل: (٣٤/)، أدب الدنيا والدين للماوردي: (ص/ ٢٣٤)، الزهد الكبير للبيهقي: (ص/ ١٥٦).

والصفح ويخالفَ نفسه.

عن أنس رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[١].

وقد ورد أن النبي ﷺ قال لصحابيّ يقال له أبو جُرَيّ سُليم بن جابر الهُجَيْني: **وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك...»**[٢] وفي لفظٍ: «**وإن امرؤ عيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيِّرْه بما تعلم فيه**»[٣]. هذا الحديث يدل على مكارم الأخلاق لأن من جملة مكارم الأخلاق أن تعفو عمّن ظلمك، فالأفضل لمن عيّره إنسان بما يعلم فيه أن يعفوَ عنه ولا يقابلَه بالمثل.

يقول أبو جُرَيّ الهُجَيْني: «فما سببتُ بعد ذلك إنسانًا ولا دابةً». هكذا شأن أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على امتثال أمر النبي ﷺ. وقد

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٣١٤٩) وكتاب اللباس: باب البرود والحبرة والشملة (٥٨٠٩) وكتاب الأدب: باب التبسم والضحك (٦٠٨٨)، شعب الإيمان للبيهقي: باب حسن الخلق (٨١١٤)، موطأ مالك: كتاب الجامع: باب ما يكره من الصدقة (٢١٢٤).

(٢) مسند أحمد: حديث جابر بن سليم (٢٠٦٣٥).

(٣) سنن أبي داود: كتاب اللباس: باب ما جاء في إسبال الإزار (٤٠٨٤)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الشهادات: باب شهادة أهل العصبية (٢١٠٩٣).

قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١) أي محاسنها معناه بين المؤمنين. وقالت عائشة رضي الله عنها في وصف رسول الله ﷺ: «**كان خُلقه القرءان**»(٢) يعني أن من أراد أن يعرف خُلق رسول الله ﷺ فليقرأ القرءان وليفهمه، ومن الأخلاق التي جاء بها القرءان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى أي تحمل أذى الغير وكفّ الأذى عن الغير. وقال عليه الصلاة والسلام: «**كنت بين شرّ جارين عقبة بن أبي معيط وأبي لهب كانا يرميان بما يخرج من الناس على بَابِي**»(٣) أي أنه ﷺ كان يتحمل أذاهما مع أنه كان أشجع خلق الله على الإطلاق وكان أوتي من القوة البدنية قوة أربعين رجلاً ومع كل ذلك كان خلقه العفو والصفح.

وفي رواية لجابر: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاع، فَإذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ فجاء رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معلّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُني؟ قَالَ: «لاَ» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «الله»، قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟**». فقَالَ: كُنْ خَيرَ ءاخِذٍ. فَقَالَ:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة (٢٠٧٨٢).

(٢) الأدب المفرد للبخاري: باب من دعا الله أن يحسن خلقه (٣٠٨)، شعب الإيمان للبيهقي: فصل في خُلُق الرسول (١٣٦٠).

(٣) طبقات ابن سعد: (١/ ١٥٧).

«تَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله»، قَالَ: لاَ، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ[١].

وأما ما يرويه بعض الناس أن رسول الله ﷺ كان اليهود يرمون الزبالة على بابه ثم ذات يوم لم يَرَ ذلك فتفقدهم فهو كذب وافتراء ليس له أصل في كتب السنة المطهرة.



إدخال السرور على الناس

لو راقب الواحد منا نفسه حينما يكون مسرورًا فماذا يشعر؟

بلا تردد إنه يشعر بانبساط في نفسه وبانشراح في صدره وبانفتاح في ءافاقه وتنهض به همته وتنعكس ءاثار ذلك النشاط على جسمه وعلى أعماله، أما إذا تكدر فخلافُ ذلك حاصل عادة.

ومن أهم الأمور التي تجعل الآخرين مسرورين وسعداء أن يجدوا من يتحدث معهم في الأمور التي يحبّونها وتَسَرُّهم وَتَلَذُّ لَهُم.

فالمطلوب من المرء لكي يسرّ به الناس أن يحدثهم في المشروع أو

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة ذات الرقاع (٤١٣٦)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب صلاة الخوف (٨٤٣).

المأذون به مما يسرّهم ويلذّ لهم وليس في أي حديث، وبعبارة أخرى: ليس المطلوب من المرء الذي سُرَّ بالناس أن يُهْمِلَ أمر القيم الحسنة والمبادئ السليمة فيتكلم فيما يطيب لهم ويرضي شهواتهم وغرائزهم حتى لو كان ذلك مخالفًا للحق.

ومن هنا فالتحدث فيما يسرّ الشخص الآخر ويلذّ له من الأمور اللطيفة الحسنة التي تساعد على الدخول إلى قلبه أمر مفيد ونافع جدًا.

وهكذا فإذا جمع المجلسُ المرءَ مع شخص أو جماعة وكانوا يتحدثون في موضوع خيّر يميلون إليه ويرغبون فيه فلا يزدر بهم ذلك الميلَ والرغبة بل ليشجعهم على ذلك، وإن استطاع أن يشاركهم فلا بأس بذلك شرط أن يكون الحديث في الحدود المشروعة، وسيجد أنهم يسرّون به ويحبّونه وينجذبون إليه.

فلكي يسرّ الناس بالمرء ويصبح محبوبًا بينهم ليكن حكيمًا في أن يدخل السرور إلى قلوبهم وأن يتحدث فيما يسرّهم ويلذّ لهم ويطيب وأن يُجمّلَ طبعه ومعاملته بشيء من الدعابة والمطايبة.

مثل ذلك ما رُوي أن بعض الصحابة جاؤا يطلبون من الرسول عليه الصلاة والسلام ما يركبونه من الدوابّ قالوا له: «**احملنا يا رسول الله**» معناه أعطنا مركوبًا من الدوابّ فقال لهم: «**أحملكم على ولد الناقة**»، فقالوا: «يا رسول الله ماذا يغني ولد الناقة أي ماذا ينفعنا هل يقضي حاجاتنا، قال: «**وهل تلد الإبلَ إلا النوق**» معناه البعير الكبير والبعير

الصغير كلّ ولد الناقة، الرسول ﷺ ما كذب، مثل هذا المزح الذي ما فيه كذب ولا فيه إيذاء لمسلم يجوز على الرسول ﷺ فقال بعض أصحاب الرسول ﷺ: «إنك لتداعبنا»، لِمَا وجدوا منه من المزح اللطيف الذي ما فيه ضرر ولا كذب انبسطوا لذلك قالوا: «إنك لتداعبنا»، قال: «**نعم ولا أقول إلا حقًا**»(١).

وكان الرسولﷺ يضع الحسن والحسين أحيانًا على حُضْنِه وأحيانا يحملهما وكان يلاعب أولاده لإدخال السرور إلى قلوبهم(٢).

بينما كان رسول الله ﷺ يسير في بعض شوارع المدينة رأى زاهر بن حزام اقترب من ورائه واحتضنه من خلفه من غير أن يراه. فقالﷺ: من يشتري هذا العبد؟ (هذا له تأويل أي صورته صورة عبد) فلما انتبه له زاهر قال: فما فرحت بشيء أكثر من التصاق جسدي بجسد رسول الله ﷺ(٣).

وقد ورد أن الرسول ﷺ رأى صحابية اسمها أم خالد تلبس ثوبًا جميلا فقال: «**أمَّ خالد سناه سناه**» أي حسَن حسن(٤).

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في المزاح (١٩٩١)، سنن أبي داود: باب ما جاء في المزاح (٤٩٩٨)، السنن الكبرى للبيهقي: باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عضه النسب أو عضه بحد أو فاحشة (٢١١٦٨).

(٢) سنن ابن ماجه: باب بر الوالد والإحسان إلى البنات (٣٦٦٦)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (١٠٦٥٩).

(٣) صحيح ابن حبّان: باب المزاح والضحك: ذكر الإباحة للمرء أن يمزح مع أخيه المسلم بما لا يحرمه الكتاب والسنة (٥٧٩٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار: باب هجرة الحبشة (٣٨٧٤) وكتاب اللباس: باب

فإن إدخال السرور إلى قلوب الناس من الأمور التي تكسب ودّهم وحبّهم، فمن طبعهم أنهم يرغبون فيمن يدخل السرور إلى نفوسهم ويحبّونه. وإضافة إلى هذا فإن المداعبة والمطايبة والمفاكهة تعين على هذا إذا كانت في محلها المناسب، فهناك من الأحوال ما يحتاج إلى مطلق الجدية، ومنها ما يسمح بشيء من المداعبة.

والمداعبة والمطايبة تدخلان على قلوب الناس السرور، وتزيلان ما أصابها من ملل وضجر.

طلاقة الوجه مَكْسَبَة للمحبة

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ**»[١].

معناه أن من الحسنات أن يلقى المسلمُ أخاه المسلمَ ووجهه منبسطٌ إليه، وهذا من أسهل الحسنات، ليس فيه كلفة. وفيها ثبت عن رسول الله ﷺ: «**كلّ معروف صدقة**»[٢] أي أن كل عملِ برٍ فيه ثواب صدقة، ولما كانت أعمال

الخميصة السوداء (٥٨٢٣)، سنن أبي داود: كتاب اللباس: باب فيما يدعى لمن لبس ثوبا جديدا (٤٠٢٤).

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦)، الأدب المفرد: باب الاحتباء (١١٨٢)، السنن الكبرى للنسائي: باب وجوه الصدقة (٧٨٢٤)، شعب الإيمان للبيهقي: ما جاء في إطعام الطعام (٣١٠٤).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب كل معروف صدقة (٦٠٢١)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٥).

المعروف كثيرةً بعضها أعظمُ من بعضٍ ذكر الرسول ﷺ ما هو أسهلُ على النفسِ وهو أن يلقى الرجلُ المسلمُ أخاه المسلمَ ووجهه منبسطٌ إليه، فما كان أشد كلفةً من المعروف كان أعظمَ ثوابًا.

إنّ طلاقة الوجه هي الهيئة التي تنبغي للمرء أن يقابل الناس عليها في معاملته لهم بل إن الأحاديث الشريفة توجه الإنسان إلى أن يكون طليق الوجه وإن كان في داخله محزونًا.

وفي هذا الشأن حكى بعضهم فقال: دُعِيتُ ذات ليلة إلى طعام العشاء وكان من ضمن المدعوين رجل غني كان يحاول جاهدًا أن يترك في الموجودين أثرًا حسَنًا وكان قد أنفق الكثير على لباسه ذلك يبدو جَلِيًّا ولكنْ قَسَماتُ وَجْهِهِ ظلت على منأى من زينة المحبة الخالصة والمودة الصافية.

كانت تعبيرات وجهه تنطق بالجمود والجفاء، وقد غاب عن باله أن التعبير الذي يرتسم على قسمات وجه المرء أكثر تعبيرًا من الملابس والثياب التي يلبسها. إن حسن البِشْرِ وطلاقةَ الوجه والابتسام المُخْلص يؤنس الناس والرفاق ويقرّب المرء إلى قلوبهم. وقيل ثلاثةٌ من الدُنيا تقرُّ العيون: المرأةُ الموافقة، والولدُ الأديب، والأخُ الودود.

وقيل لابن السَمَّاك: أيُّ الإخوان أحقّ ببناء المودّة قال: الوافرُ دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب ولا ينساك عن البعد إن دنوت منه داناك وإن بَعدت عنه راعاك وإن استعنت به عضدك وتكونُ مودّةُ

فعله أكثر من مودّة قوله.

ولكي يُحرز المرء علاماتٍ مهمة من علامات النجاح على صعيد الأعمال أو على صعيد كسب ودّ الناس وحبهم ينبغي له أن يكون:

* حسن البشر.

* طليق الوجه.

* مبتسمًا وبإخلاص.

وإذا لم يكن من عادته الابتسام فليتعلم هذه الخصلة الحسنة، وليس عيبًا أن يتعلمها، وليجعل الابتسامة تَنْبُع من قلبه وتجري على فمه وعلى شفتيه لتبسط قسمات وجهه، ولن يتكلف شيئًا ولن يخسر بل هو الرابح والناجح والسعيد على أية حال إن أخلص النية.

وليعلم المرء أن حُسْنَ البشر والابتسام هما من أبرز الأمور التي تجعله يترك أثرًا حسنًا فيمن يلقاه أول مرة وهي الخصلة التي ينبغي أن يتحول فيه إلى عادة في كل لقاء، وبذلك ينجح في أعماله ويكسب مودة الناس ومحبتهم.

الإصغاء أو الاستماع فنّ يهمله أو لا يجيده قسم من الناس بل إن كثيرين منهم يجيدون التحدث أكثر مما يجيدون الاستماع. إن بعضهم حين يسكت يكون منشغلا عن سماع مخاطبه بالتفكير فيما يقوله حين يسكت هذا المخاطب.

هل هناك من علاقة بين كسب محبة الناس ومودتهم وبين الإصغاء أو الاستماع إليهم؟

الجواب: أجل.

لو حصل أن التقى المرء شخصًا ودخل معه في حديث وتجاهل ما يقوله الشخص الآخر بأن كان لم يستمع إليه جيدًا، فما هو الشعور الذي يتولد في هذا الشخص الآخر؟ بلا شك إنه لا يسرّ به ولا ينجذب إليه. وليجرّب أيضًا أن يلتقي شخصًا ءاخر ويدخل معه في حديث وليستمع جيدًا ما يقوله الشخص فلا يقطعه إلا إن خشي أن يأتي في كلامه مفسدة يتوقعها من سياق الخطاب فيسبقه بالحجة لينبهه ثم يسكت.

إن شعور الشخص في هذه الحالة يختلف تمامًا عن شعور الشخص في الحالة الأولى، وإنه هنا يسر بمستمِعِه وينجذب إليه ويحبه، فإن النبيّ ﷺ كان إذا كلّمه أحدهم يلتفت إليه بكليته ولا يوليه جانب وجهه.

من هنا يظهر أن الخطيب والمعلم ينبغي أن يهتما بتركيز نظراتهما وتوجيه كلامهما إلى من يصغي إليهما من الحاضرين. تصور أنك دُعِيت إلى خطاب في جمع، وكان هذا الجمع غير مستمع إليك منشغلاً بغير خطابك، فهل تتشجع في الخطابة؟ وتنجذب إلى مستمعيك؟ وهل تثني عليهم؟ بحسب العادة، لا تفعل. والانطباع الذي يرتسم عندك أنهم غير مشجِّعين لك على الخطابة لأنهم لا يلتزمون الإصغاء.

وهنا نذكر قول العلماء: إنه ينبغي لطالب العلم أن يكون مقبلا بقلبه ووجهه.

والإصغاء ليس مسألة صعبة بل هو عادة تُكْتَسَب بمجاهدة النفس ليتحول بعد ذلك فنًّا يعتمد على إتاحة الفرصة الكافية للمحدث لأن يتحدث أو أن يبدي أفكاره أو ءاراءه ووجهات نظره المبنية على أساس الإنصاف، ويعتمد على الاتصاف بإرادة الصبر على الصمت وعدم مقاطعة الطرف الآخر في حديثه ما لم تدع حاجة حتى يتمّه أو حتى يتمّ القسم أو الفكرة التي يعطينا بعدها الإذن للتحدث ما لم تدعُ حاجة إلى مقاطعته خشية مخالفته الحقّ فنورد له الحجة حتى ينتبه للحقّ.

وفقدان فن الإصغاء والاستماع لِمَا هو خير ونافع من الأمور غير المطلوبة في مجتمعاتنا، فقد يصادف أن يحضر المرء مجلسًا فيجد فيه أكثر من شخص يتحدثون ويبدون الرأي والتعليق في نفس اللحظة وبذلك يتحول المجلس إلى مقاطعات كلامية فوضوية لا يُستند فيها إلى أدلة ولا يتوصل منها إلى نتائج فتفوتك فائدة المجلس.

والإصغاء لِمَا فيه نفع وفائدة لا يؤدي على تنظيم المحادثة بين شخصين أو طرفين فحسب بل بالإضافة إلى ذلك هو تقدير واحترام للشخص الآخر، الأمر الذي من شأنه كسب المرء لمحبة الناس ومودتهم.

فأن تصغي لمحدثك هذا يعني أنك تشعر بأهميته.

وقد يسأل السائل: كيف الطريق إلى حسن الإصغاء أو الاستماع وخصوصًا بالنسبة إلى من لا يجيده؟

الأمر في غاية البساطة وهو التعود على الإصغاء والاستماع إلى الكلام الحسن المفيد. فمن يتعود على الاستماع الطيب سيصبح الاستماع عادةً فيه وتقليدًا بلا كبير تكلف.

فلكي يكسب المرء ودّ الناس وحبّهم حري به أن يكون:

* مستمعًا جيدًا لهم إذا كان كلامهم مفيدًا.
* ومشجعًا ومتيحًا الفرصة لهم في التحدث عما هو خير وفضيلة سواء كان الكلامُ عن أنفسهم أو عمّا يخصّهم أو عمّا يرغبون فيه.



تذكرحفظ أسماء الناس



حينما يلتقي المرء شخصًا ءاخر ويبدأ معه حديثًا ثم يسترسل معه في الحديث دون أن يبادره بالسؤال عن اسمه ما هو الشعور الذي في داخل ذلك الشخص؟

إن أدنى ما قد يتولد فيه من شعور هو أن محدّثَهُ لم يعره اهتمامًا كافيًا لأنه تناسى التعرف على عنوانه العام وهو اسمه. بينما لو قدّم له هذا السؤال في أول لقاء - هو الأفضل - أو في أثناء الحديث: «ما هو اسمكم؟» أو «وددت التعرف على اسمكم» لتحركت مشاعره متجهة إلى مخاطبه، والتعارف سُنّة.

وإنه من اللائق أن يدخل أناس مع ءاخرين في أحاديث قد تمتد لساعات وتسألهم عن أسمائهم.

وترك ذلك قد يرجع في بعض الأحيان إما إلى حالة كِبْرٍ موجودة فيهم أو إلى انعدام أو ضعف اهتمامهم بالتعارف أو إلى تقصير أو قصور في ثقافة التعامل بين الناس. وأيًا كانت الحالة ينبغي للمرء ويفضل له أن يتعرف على اسم محدثه.

وقد يتساءل المرء: ما هو الداعي للتعرف على اسم شخص سيفارقني وربما لن أراه في المستقبل؟ وما الذي سأَجنيه من ذلك؟

والجواب: وما الذي يخسره المرء حينما يسأل عن اسم من يلقاه؟ بل لربما أصبح هذا صديقا حميمًا للمرء في الحياة. وكم من أفراد أصبحوا أصدقاء حميمين لآخرين بسبب التعرف على أسماء بعضهم البعض. وحاجة الناس بعضهم إلى بعض كثيرًا ما تجمعهم.

إنَّ التعرف على اسم الشخص الآخر فضلاً عن أنه عادة حسنة إن سَلِمت النية وحسن القصد فهو يسهم في كسب مودة ذلك الشخص ومحبته والدخول إلى قلبه وقد يكون أحدنا جرّب أن يتعرف على اسم من لاقاه أو اسم محدّثه وأحسّ بذلك الشعور الذي يتولد فيه.

ويُشَكِلُ التواضع دورًا كبيرًا في السؤال عن اسم الشخص الآخر، لأن المتواضع لا يجد حاجزًا في التعرف على الآخرين بل يكون سعيدًا وهو يتعرف عليهم.

حُكي عن بعضهم أنه كان إذا التقى بمن لم تسبق له معرفته اتخذ لذلك أسلوبًا لائقًا تدرج فيه إلى سؤاله حتى لا يجد المرء غضاضة في إخباره فلا يستشعر منه أنه يدخل في خصوص لا ينبغي له أن يسأل عنه، تعرَّف على اسمه الكامل وأسماء أولاده وذويه المقربين ووقف على طبيعة عمله وءارائه العامة. ثم يحتفظ بهذه المعلومات في ذهنه كجزء من الصورة التي اختزنها في مخيلته لهذا الصديق، فمتى التقاه ثانية وسعه أن يُرَبِّت على كتفه ويسأله عن الأزهار الجميلة التي تنبت في حديقة داره. فلا عجب إذن أن يكون له على مرّ الأعوام معارف وأصدقاء.

ومتى ذَكَرْتَ اسم شخص صادفته وناديته به في المرة التالية التي تلقاه فيها فثق أنك أديت له مجاملة لطيفة باقية الأثر. أما لو نسيت اسمه أو نطقت به خطأ فقد لا يشعر الطرف الآخر بأنك تهتم به.

ومن هنا فإن المرء بحاجة إلى أن ينشط ذاكرته في حفظ أسماء من يلتقي بهم من الناس.

ومن الطرق الناجحة في تذكر الأسماء: أن تستمع جيدًا إلى الشخص وهو يدلي لك باسمه وأن تردده أكثر من مرة وفي أثناء الحديث لكي يرسخ في ذهنك وأن تربطه بذاكرة بصرية.

وعن حفظ وتذكّر الأسماء ينقل عن بعضهم أنه كان ليستطيع أن يذكر اسم كلّ شخص التقى به. كان إذا لم يسمع اسم محدّثه واضحًا قال له:

ءاسف لم أستطع أن ألتقط الاسم تمامًا. فإذا كان الاسم على شيء من الغرابة سأل: كيف يتهجأ؟ ثم يأخذ على عاتقه خلال المناقشة أن يكرر الاسم عدّة مرات ويحاول أن يربطه في ذهنه بصورة صاحبه وملامحه وتعبيراته ومظهره العام، ومتى خلا لنفسه كان يدوّن الاسم على قرطاس ثم يتأمله مَلِيًّـا ويحصر ذهنه فيه.

وتذكّر الأسماء ليست مسألة صعبة بل هي سهلة وهو بالمران يقوى ويسهل أكثر فأكثر. ولكنّ كثيرًا من الناس يتعذر عليه بسبب ضعف حفظه لأسماء من يلقاهم بازدحام الأعمال وكثرة الانشغالات. ولكن لو علم أولئك أهمية التعرف على الناس وتذكر أسمائهم لما قصّروا في ذلك.

فلكي يكسب المرء حبّ الناس له ينبغي له أن يعلم أن اسم الشخص الآخر هو شيء مؤثر عنده، وبحفظه لاسم هذا الشخص يشعر الأخير بأنه يهتم به وبذلك يدخل المرء إلى قلبه فيحبّه.

أمور أخرى في التحبب إلى الناس

١- الإقبال على الناس

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: **«حق المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام وعيادة المرضى وتشميت العاطس واتّباع الجنائز وإجابة الدعوة»**[١].

وتشميت العاطس سنّة وأدَبٌ[٢] وقد قال بعض العلماء: «تشميت العاطس واجب»[٣]، والتَشميت يَكون كما رَوَى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»**.

٢- الحياء المطلوب

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«دَعْهُ، فَإِنَّ الحيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»**[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب الأمر باتباع الجنائز (١٢٤٠)، صحيح مسلم: كتاب السلام: باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٢٠/١٨).

(٣) دليل الطالب لنيل المطالب في الفقه الحنبلي: (ص/ ٧٣)، التاج والإكليل لمختصر خليل في الفقه المالكي: (٢/ ٢٢٤).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب الحياء (٦١١٨)، سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في

وقد صحّ في حديث شمائل النبي أنه كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها والخدرُ هو سترٌ يُعمَلُ جانب البيت للبنت البكر هذه كانت عادة العرب الأُوَل هي تنفرد به تلازم ذلك المكان، الحياء من شيم المرسلين والصالحين.

وقد قال ﷺ للأشجّ المنقري: «**إن فيك لخصلتين يحبّهما الله**» قلت: ما هما؟ قال: «**الحِلْم والحياء**» قلت: الحمد لله الذي جعلني على خلقين يحبهما الله[١]. والمراد هنا بالحياء الحياء الذي يبعث على تجنب الرذائل.

أي يُبعِدُ صاحبه عن الرذائل ومنكرات الأخلاق أما الحياء الذي يُبعد صاحبه عن تعلم ما يحتاجه للدين كالمرأة التي تستحي أن تتعلم أحكام الطهارة مثلا وكذلك الرجل إذا كان يستحي من تعلم أمور الطهارة فهو مذموم عند الله لأنه ترك تعلم ما فرض الله معرفته من أمور الدين ومن الحياء الممدوح أن لا يلح الشخص في طلب دينِهِ من المدين.

فائدة: روى الترمذي أن الرسول ﷺ قال: «**إن الله حَيِيٌّ يستحي إذا رفع العبدُ يديه أن يردهما صفرا خائبتين**»[٢]. الاستحياء نسبته في الحديث

الحياء (٤٧٩٥)، شعب الإيمان للبيهقي: باب التعاون على البر والتقوى (٧٣٠٢)، سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه: باب الحياء (٥٠٣٣).

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين والدعاء إليه (١٨)، سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الحِلْم (٤١٧٨)، شعب الإيمان للبيهقي: باب حسن الخلق (٨٠٥٣).

(٢) سنن الترمذي: (٣٣٥٦)، مسند أحمد: (١٧٩٧٠)

إلى الله ليس معناه هذا الاستحياء الذي يحصل من الخلق إنما معناه الله لا يترك هذا الإنسان من أن يعطيه ما سأل ليس على معنى الاستحياء الذي هو عرض من أعراض البشر ليس معناه الخجل، الخجل مستحيل على الله، لغة العرب واسعة تأتي كلمة الاستحياء الذي هو من الأعراض البشرية وهي صفة حادثة وتأتي بمعنى لا يخيّب الرجاء.

٣- الابتعاد عن التكلف والحواجز النفسية غير المحمودة

٤- الانفتاح النافع والعيش بين الناس والصبر عليهم وحسن لقاء الناس

يمثل اللقاء بالناس مقدمة التعامل بينهم ومن شأن هذه المقدمة أن تُوْسَم بالحسن والجمال لكي تكون معاملتهم حسنة. ومن حسن اللقاء بالناس حسن البشر وطلاقة الوجه والتبسم والبشاشة وطيب الكلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم لا تَسَعُون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»[١].

---

(١) شعب الإيمان: باب حسن الخلق (٧٦٩٥)، المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم: فصل في توقير العالم (٤٢٧)، مكارم الأخلاق للطبراني: باب فضل الانبساط إلى الناس ولقائهم بطلاقة الوجه (١٨).

وقد كان يحيى بن أكثم معروفًا بالحلم، يضرب به المثل بالحلم، سئل: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم. قيس بن عاصم رضي الله عنه هو صحابي جليل، قَتَلَ ابنُ أخيه ابنَه. فأتي إليه بالقاتل مكتوفًا فقال: فُكُّوا عنه، وقال للشاب القاتل: عصيتَ ربَّك وقطعتَ رحمَك، وأعطى أمَّ المقتول مائةَ ناقةٍ حتى تصبرَ. وصار يُضرَبُ به المثلُ في الحِلْم والصَّبْرِ. الناسُ صاروا يتعلمون منه الحِلْم والصبرَ[1]. والحلم هو الصبر على أذى الناس وسوءِ معاملتهم بترك مقابلة المسيء بالإساءة.

حتى قال بعضهم في مدحه يَرثيه:

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصم ورحمتُه ما شاءَ أنْ يترحَّما

وما كان قيس هُلكُه هُلكَ واحدٍ ولكنَّه بنيانُ قومٍ تهدَّما

معناه موته ليس كموت واحدٍ، بل كبنيان قوم تهدَّم. فمن أكثر من ذكر الآخرة وذكر الموت تهون عليه المصائب ويهون عليه الصبر ومما يعين على تحمُّل المصائب الإكثار من قول إنا لله وإنا إليه راجعون، والعفوُ عند الله عزٌّ وليس ذلّا، مهما كانت الجريمة العفو عند الله رفعة فاتّباع العادات التي تخالف الشرع لا خير فيها، العفو شيمة الصالحين، الأنبياء والأولياء هذه شيمتهم فلقد قيل **عادات السادات سادات العادات**.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (١١/ ١٧٧).

٥ ـ الإهداء والتقدير

قال رسول الله ﷺ: « **تصافحوا تذهبِ الشحناء وتهادَوْا تحابُّوا ويذهبِ الغِلُّ** »(١).

وقد أوصى بعض العلماء تلاميذه فقال: أوصيكم بالتحاب والتواد والتناصح والتزاور والتباذل ولو بشيء قليل. يبذل هذا لأخيه سواكًا أو شيئًا سهلاً ثم الآخر يبذل ما تيسّر له، إن التباذل يقوي المحبة. ففي الحديث القدسي: «**وحقّت محبتي للمتباذلين فيّ**»(٢) ومعنى حقّت ثبتت ليس من شرط التباذل أن يكون بالمثل بل لو أهدى ءاخر ألف دينار فمطلوب من الآخر أن يهديه بما في وسعه ولو سواكًا من أراك عملاً بهذا الحديث وبحديث «**تهادوا تحابّوا**»(٣).

وكان النبي ﷺ إذا أُتي إليه بهدية قال: «**اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت تحبّ خديجة**»(٤).

---

(١) الجامع لابن وهب: (٣٥٣)، موطأ مالك: كتاب الجامع: باب ما جاء في المهاجرة (٣٣٦٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب البر والصلة (٧١٣٥)، مسند أحمد: حديث معاذ بن جبل (٢٢٠٠٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: مقاربة أهل الدين وموادتهم (٨٣٧٧)، الأدب المفرد: باب قبول الهدية (٥٩٤)، المعجم الأوسط للطبراني: حرف الميم (٧٢٤٠).

(٤) الأدب المفرد: باب قول المعروف (٢٣٢)، مسند البزّار (٦٨٦٨).

٦- الزيارة

قال النبي ﷺ: «**إن رجلا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله به ملكًا فيها أتى عليه، قال له: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمةٍ تَرُبُّها عليه؟، قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإنِّي رسولُ الله إليكَ بأنَّ الله قد أحبَّكَ كما أحببته**»[1].

والتزاورُ مهمٌ جدًا ولا سيّما إذا طالت غيبةُ أخيك أو نزلت به مصيبةٌ أو اشتدَّ به مرضٌ، لا يمض على الواحد مدةٌ واسعةٌ لم يَرَ فيها أخاهُ ولا سأل عنه. وإن استطاع أن يزوره زاره وإن لم يستطع يرسل له سلامًا أو يكلمه بواسطة الهاتف. وورد في حديث نبويّ شريف أنّ «**المؤمن إذاخرج لزيارة أخيه المؤمن يقول له الملك**» -ملك من ملائكة الرحمة، هو لا يسمعه وقد يسمعه-، «**طِبت وطاب ممشاك وبوّأك الله نُزُلا في الجنة**»[2]. معناه مشيت لخير عظيم ولك في الجنة بيت، التواصل بالزيارة فيه خير عظيم. زيارة الأخ المسلم لوجه الله ثوابها عظيم أحسن من الخروج للنزهة.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب في فضل الحب في الله (٢٥٦٧)، صحيح ابن حبّان: ذكر إثبات محبة الله جل وعلا للمتحابين فيه (٥٧٢)، الآداب للبيهقي: باب من زار أخا في الله عزّ وجلّ (١٨٠).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من عاد مريضا، سنن الترمذي: باب ما جاء في زيارة الإخوان (٢٠٠٨)، الأدب المفرد للبخاري: باب الزيارة (٣٤٥)، شعب الإيمان للبيهقي: مقاربة أهل الدين ومودادتهم (٨٦١٠).

٧- السؤال عن الأحوال

لقوله عليه السلام: «**من عاد مريضًا مصبحًا يستغفر له سبعون ألف ملك حتى يمسي وكان له مَخْرَفَةٌ في الجنة، ومن عاد مريضًا ممسيًا يستغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له مخرفة في الجنة**»[١] والمخرفة البستان. وفي رواية: «**من عاد مريضًا في أيّ ساعاتِ النهار بعث الله له سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ومن عاد مريضًا بأي ساعات الليل بعث الله له سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح**»[٢] ومعنى الصلاة هنا الاستغفار.

٨- شكر المعروف

قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣].

وأما شكر الله فبأداء الواجبات واجتناب المعاصي وشكر الوالدين فبرّهما، وأما ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فمعناه مرجع الجميع إليّ، هو من حيث المشروعية يطيع الولد والديه في المباح والمكروه لكن لا يجب طاعتهما

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب في فضل العيادة على وضوء (٣٠٩٨)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الجنائز (١٢٦٤)، شعب الإيمان للبيهقي: عبادة المريض (٨٧٤٢)، مسند أحمد: مسند علي بن أبي طالب (٩٧٦).

(٢) صحيح ابن حبّان: كتاب الجنائز: ذكر استغفار الملائكة لعائد المريض من الغداة إلى العشي ومن العشي إلى الغداة (٢٩٥٨).

(٣) سورة لقمان: ١٤.

في كل مباح، برّ الوالدين الواجب أن يطيعهما في كل ما في تركه يحصل لهما غم بسببه، إذا طلب أحد الوالدين من الولد أن لا يسافر وكان سفره بلا ضرورة وجب عليه ترك ذلك السفر إذا كانا يغتمان بسفره، ويجب على الأبناء الذكور والإناث الإنفاق على الوالدين المحتاجين وهذا من برِّ الوالدين، فبرّ الوالدين والجدّ والجدّة بركة في الدنيا والآخرة، والدليل على أن نفقة الوالدين المعسرَين تجب على ولدهما البالغ وإن كانا قادرين على الكسب قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] قال ابن عباس: يريد البِرَّ بهما مع اللطف ولين الجانب فلا يغلظ لهما في الجواب ولا يحدّ النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي السيّد تذللا لهما. وليس من الإحسان أن يكلفهما أن يعملا. فإن مَن بَرَّ والديه تكون عاقبته حميدة. فاكتَسِبْ رضى والديك قبل الخروج من الدنيا، إما أن يسبقاك أو تسبقهما، كثير من الناس يندمون على فوات برّ الوالدين بعد موتهما ندمًا شديدًا شديدًا شديدًا، أيام حياتهما الغفلة حكمتهم ثم بعد ذلك يفكّرون كيف فوّتوا برّهما، فإن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ مَنْ أدْرَكَ أبويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدهُما أَوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»[2].

الذي ورد في الحديث: «**رضا الله في رضا الوالد وسخطه في سخطه**

---

(١) سورة البقرة: ٨٣، سورة النساء: ٣٦، سورة الأنعام: ١٥١، سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة (٢٥٥١)، شعب الإيمان للبيهقي: فضائل شهر رمضان (٣٣٥٠).

وسخط الله في سخط الوالد»[١] هذا يشمل الأبَ والأمَّ. أي إن أنت كسبت رضا الوالد كأن كل الدنيا صارت لك، رضا الوالد خير من الدنيا وما فيها، الدنيا للزوال أما رضا الوالدين فهو خير دائم ينفعك في الدنيا والآخرة فطاعة الأبوين فيما لا معصية فيه فيه ثوابٌ فإذا أمرا الولد بما ليس فيه معصية يطيعهما له ثواب.

---

(١) شعب الإيمان: بر الوالدين: (٧٤٤٦).



فائدة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيق مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسِير، فَقَالَ عبد الله بن عمر: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه وإِنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبيهِ**»[١].

فائدة: يقال شَكَرَ اللهُ عَبْدَهُ على عمله ويقال شكر العبد ربه، شكر الله عبده أي رضي عنه في هذا العمل. في الحديث «**شكر الله عمله**»[٢]، الحسنة مهما كانت لا يستهان بها، الحسنات أنواع بعضها أعلى من بعض، أيُّ حسنة لا ينبغي أن يحقرها المسلم، الله تعالى يعتق بعض العباد من النار بحسنة قليلة في نظر العباد، العبد لا ينبغي أن يحقر شيئًا من الحسنات فيقول أنا عملت كذا وكذا من الحسنات الكبار ويحقر الصغار، مثل تلك المرأة المؤمنة الزانية الله غفر لها لأنها سقت الكلب العطشان أخذت الماء من البئر بخفّها

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما (٢٥٥٢).
(٢) سبق تخريجه.

وسقت الكلب لله تعالى الله غفر لها وهي كانت زانية تتعاطى الزنى[١].

فقد روي أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**بَينَما رَجُلٌ يَمشي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يأكُلُ الثَّرَى من العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنزَلَ البِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أمْسَكَهُ بفيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»[٢].

وقد روى السيوطي أن الرسول ﷺ قال: «**صدقة السرِ تقي مصارع السوء**»[٣] أي إن كانت الصدقةُ من حلال تقي المهلكات والبلايا والفتن.

٩ـ التشجيع

أي تشجيع الطرف الآخر على صنيعه للخير وتشجيعه على الخير عمومًا.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب السلام: باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٥)، صحيح ابن حبّان: ذكر الخبر الدال على أن الكبائر الجليلة قد تغفر بالنوافل القليلة (٣٨٦)، مسند أحمد: مسند ابي هريرة (١٠٥٨٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب رحمة الناس والبهائم (٦٠٠٩)، صحيح مسلم: كتاب السلام: باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٤)، شعب الإيمان للبيهقي: كتاب الزكاة: ما جاء في إطعام الطعام وسقي الماء (٣١٠٠)، موطأ مالك: باب جامع الطعام والشراب (١٩٥٢)، مسند أحمد: مسند أبي هريرة (١٠٦٩٩).

(٣) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، السيوطي، حرف الصاد، الحديث: ٧٢٦٤.

١٠- الإخبار بالحب

لحديث «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاهُ فَلْيُعْلِمْه**»[١]. معناه ليقل له: إني أحبك في الله.

والحديث: «**سبعة يظلهم الله في ظلّه** (أي ظلّ العرش) **يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلّه**»[٢]، ذكر فيهم «**واثنان تحابّا في الله**»، وقد ورد في بعض الروايات أن كلا منهما يقول لأخيه إني أحبّك في الله، ويقول له الآخر وإني أحبك في الله، ثم يحققان هذا، ليس بمجرد القول، أي لا يداهن هذا صاحبه ولا ذاك يداهن هذا، بل يتعاملان على الصفاء، أي لا يتعاملان على الحقد والغش والخيانة. وفي النهي عن الغشّ ورد أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلا، فَقَالَ: «**مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله. قَالَ: «**أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يراهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**قال الله تعالى: المتحابون بجلالي لهم**

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في إعلام الحب (٢٣٩٢)، شعب الإيمان للبيهقي: مقاربة أهل الدين وموادتهم (٨٥٩٥)، الأدب المفرد: باب إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه (٥٤٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٦٠)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الحب في الله (٢٣٩١).

منابر من نور يوم القيامة»[١]. وورد أيضًا: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[٢].

فالتحابُّ في الله فيه سرّ عظيمٌ لأن التنافرَ يؤدي إلى الغيبة، هذا يغتاب هذا وهذا يغتاب هذا وفي الآخرةِ الجزاءُ يكونُ على حسبِ العمل. وروي أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تدخلوا الجنَّةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا**»[٣] فالتحابُّ في الله من صفات المؤمن الكامل، أي فلا يكمل الإيمان إلا بالتحابِّ في الله.

١١ - الدعوة إلى المنزل إلى حديث أخوي أو إلى طعام

فقد قال رسول الله ﷺ: «**أحبّ الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»[٤] وهذا الحديث يؤخذ منه ثلاثة أشياء، أنّ الاجتماع خير من الافتراق، وأن الأكل جماعة خير من الأكل فرادى، وفيه عن إكرام الضيف. فالأحسن الاجتماع على الأكل من أن يأكل كلّ واحد بمفرده والأحسن أن يأكلوا من قصعة واحدة لأن هذا أقرب للتواضع.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب الفتن والملاحم (٨٢٩٦).

(٢) مسند أبي داود: أحاديث البراء بن عازب (٧٨٣)، مسند ابن أبي شيبة (٣٢١)

(٣) سنن أبي داود: باب في إفشاء السلام (٥١٩٣)، سنن الترمذي: باب ما جاء في إفشاء السلام (٢٦٨٨)، شعب الإيمان: حقوق الأولاد والأهلين (٨٣٧١)، الأدب المفرد: باب إفشاء السلام (٩٨٠).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي: فصل في التكليف للضيف عند القدرة عليه (٩١٧٤)، المعجم الأوسط للطبراني: حرف الميم (٧٣١٧)، مكارم الأخلاق للطبراني: باب فضل إطعام الطعام (١٦١).

١٢ـ التراحم

لحديث: «**جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»[(١)]. وورد أيضًا أن النبي عليه الصلاة والسلام أطعم بعض الأطفال بيده، وأنه كان يحمل بنت بنته زينب، وهذا يدل على شدة رحمته بخلق الله.

وعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله وحِبّه وابن حِبّه رضي الله عنهما قال: أرسلَتْ بنت النبي ﷺ: إن ابني قد احتضر فاشهدنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إنّ لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمّى فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلَت عليه تقسم ليأتينّها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضي الله عنهم فرُفِعَ إلى رسول الله الصبي فأَقْعَدَهُ في حِجره ونفسه تقعقع، ففاضت عينه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال ﷺ: «**هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده**»[(٢)] وفي رواية: «**في قلوب من شاء من عباده وإنما**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب جعل الله الرحمة مائة جزء (٦٠٠٠)، صحيح مسلم: كتاب الأدب: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٢)، سنن الدارمي: باب إن لله مائة رحمة (٢٨٢٧)، شعب الإيمان: الجود والسخاء (١٠٤٧٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته (١٢٨٤)، صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب البكاء على الميت (٩٢٣)، شعب الإيمان: باب في الصبر على المصائب (٩٢٨٢).

يرحم اللهُ من عباده الرحماءَ»[١]. ومعنى «**تقعقع**» تتحرك وتضطرب.

١٣ـ التعاطف

فقد جاء في الحديث: «**وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره**»[٢]. وقال بعض الصالحين: التعاطف القلبي من أسرار النجاح.

١٤ـ السعي في حوائج الناس وخدمتهم

قال رسول الله ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا سَتَرَهُ الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[٣].

قال ابن عطاء الله السَّكَنْدَري: «**من فضل الله عليك حاجة الناس إليك**»[٤]. فإن عامل الناس على حسب ما يرضي الله يكون كسب خيرًا كبيرًا.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المرضى: باب عيادة الصبيان (٥٦٥٥)، مسند أحمد: حديث أسامة بن زيد (٢١٧٧٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤)، شعب الإيمان للبيهقي: الحث على ترك الغل والحسد (٦٢٣٣).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرءان وعلى الذكر (٢٦٩٩)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الستر على المسلم (١٤٢٥)، شعب الإيمان للبيهقي: فصل في إنظار المعسر (١٠٧٣٧).

(٤) روي بلفظ قريب عن الفضيل بن عياض، ذكره البيهقي في شعب الإيمان: باب التعاون على البر والتقوى (٧٢٥٩).

روى أحمد من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيّاكم والجلوس على الطريق**، قلنا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها قال: «**فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه**» قلنا: وما حقه يا رسول الله، قال: «**غض البصر وكفّ الأذى وردّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» وهو حديث صحيح[١]. قال الحافظ ابن حجر: وقد اجتمع في ءاداب من جلس على الطريق اثنا عشر أدبًا وقد نظمت ذلك في أبيات:

جمعت من رام الجلوس على الـ الطريق في قول خير الخلق
أدّ السلام وأحسن في الكلام تقًا وشمّت العاطس الحمّاد إيمانًا
في الحمل عاون ومظلومًا أعن وأغث لهفانًا رد سلامًا واهد جيرانا
بالعرف مر وانه عن نكر وكفّ أذى وغضّ طرفًا وأكثر ذكر مولانا

زبيدة رحمها الله عملت عملًا عظيمًا هي لوجه الله أجرت الماء إلى عرفة (من أرض بعيدة يقال له ماء زبيدة) لوجه الله هي زوجة هارون الرشيد رحمها الله هي رأت منامًا أن كل الناس يجامعونها فقصت لمعبّر (لعالم ممن يُعبّر المنام) فقال لها تعملين عملاً ينتفع به الناس فعَملت ذلك العمل أجرت الماء تحت الأرض من أرض بعيدة إلى الآن موجود هذا

---

(١) صحيح البخاري: باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات: (٢٤٦٥)، وصحيح مسلم: باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه: (٢١٢١).

الماء لولا هذا الماء لهلك كثير من الحجاج هي عملت ذلك لوجه الله. في الماضي نساء الملوك كن يعملن المبّرات لخدمة الناس اليوم التنافس في بناء القصور وما أشبه ذلك. فكثير من الرُؤى لا تُفسَّر على ظاهرها.

روي أنهُ كانَ بمصر تاجر تمر، يُقالُ لهُ: عطية بن خلف، وكانَ من أهلِ الثروةِ ثُم افتقرَ، ولم يبقَ لهُ سوى ثوب لستر عورته، فلما كانَ يومُ عاشوراء، صلى الصُبحَ في جامعِ عمرو بن العاص ووقف يدعو مع جُملة الناس وهو بمعزلٍ عن النِساء، فجاءتهُ امرأةٌ ومعها أطفال فقالت: ياسيدي، هلا فرّجتَ عني وءاثرتني بشيء أستعين بهِ على قوتِ أطفالي! ماتَ أبوهم وما تركَ لهُم شيئًا وأنا شريفة منسوبة للنّبي الأعظم ﷺ، ولا أعرفُ أحدًا أقصدهُ! فقالَ الرجلُ في نفسهِ: أنا لا أملكُ شيئاً وليس لي غير هذا الثوب، ثُم قالَ لها: اذهبي معي حتى أعطيكِ شيئًا، فذهبت معهُ إلى منزله، فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتّزر بثوب بالٍ كان عنده، ثُم ناولها الثوب من شق الباب، فقالت له: رزقك الله من حلل الجنة، ولا أحوجك في باقي عمرك إلى أحد، ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل، ثُم نام فرأى في الرؤيا حوراءَ لم ير الراؤونَ أحسنَ منها وبيدها تفاحة قد عَطّرت ما بين السماء والأرض، فناولته التفاحة فكسرها، فخرج منها حلّة من حلل الجنة لا تساويها الدنيا وما فيها، فألبسته الحلّة وجلست معهُ، فقال لها: من أنتِ؟ فقالت: زوجتك في الجنة، فقال: فبم نلت ذلك؟ قالت: بدعوة تلك المسكينة

الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس.

فائدة:

ورد أن رسول الله ﷺ: «**من رءاني في المنام فسيراني في اليقظة**» رواه البخاري[١]، فيه بشارة بأن الذي يراه في المنام لا بد أن يراه قبل موته وذلك في النزاع وإما قبل ذلك فإن كان من أهل الاستعداد للتقوى والعمل الصالح يصح أن يراه وهو صحيح متمتع بعافيته ويصح أن يستفيدَ منه فوائد، وإن لم يكن من أهل الاستعداد لذلك فإنه يراه عند النزاع أي عند خروجه من الدنيا وفي كلا الحالين بشرى له أنه يموت على الإيمان وأنه من أهل الجنة، فمن المهم معرفة صفات رسول الله الخلقية التي تذكر في كتب الحديث حتى يكون الشخص رءاه على حسب خلقته التي خلق عليها فإنه إن لم يعرف صفات الرسول الخلقية المذكورة في كتب الحديث قد يكون رءاه في المنام على غير صورته الخلقية، وفرق بين الذي يراه على صورته الخلقية وبين من يراه على غير تلك الصورة.

وأما صفاته الخلقية من جملة ما ذكره المحدثون في كتب الحديث أنه ﷺ أبيض مشرق بياضه مشرب بحمرة وهو معتدل الخلقة ربعة لكنه إلى الطول، كان متماسك البدن لم يكن هزيلا ولا سمينًا، أشم الأنف أي أن أنفه طويل ليس قصيرًا، أزج الحاجبين من غير قرن، حاجباه متقاربتان

(١) صحيح البخاري: باب من رأى النبي ﷺ في المنام: (٦٩٩٣).

ليستا ملتصقتين لكن ليستا متباعدتين، واسع العينين، أما شعره ﷺ كان بعض الأوقات شعره إلى أذنيه وأحيانًا إلى أسفل من الأذنين وأحيانًا يضرب منكبيه ولم يحلق بالموسى إلا مرتين مرة للحج، في الحج إما الحلق بالموسى وإما التقصير للرجال أما النساء التقصير فقط، لغير ذلك ما حلق بالموسى قط، ولم يشب من شعره إلا نحو عشرين شعرة، كان شديد سواد الشعر، بعض الصحابة قال: «لم أر مثله قبله ولا بعده»[١] أي في الحسن والجمال وإذا تكلم كان كلامه فصلا بحيث لو أراد الشخص أن يعد كلماته عدّا لعدها، لم يكن مسرعًا في الكلام بل كان كلامه فصلا، فمن رءاه بهذه الهيئة في المنام فقد رءاه على الوجه الأتم ومن رءاه على غير هذه الصورة فقد رءاه، فقد يراه بعض الناس طفلا وبعض الناس شابًا وبعض الناس على هيئة العمر الذي توفاه الله تعالى عليه، عاش ثلاثًا وستين سنة.

١٥- حفظ اللسان وحسن استعماله

لحديث «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٢] وفي صحف إبراهيم عليه السلام مذكور أنه على الإنسان أن يكون حافظًا

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في صفة النبيّ صلىَّ الله عليه وسلم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٨) وباب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٦١٣٥)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (٤٧)، سنن أبي داود: باب في حق الجوار (٥١٥٤).

للسانه ولا يتكلم إلا فيما يعنيه، إلا في الشىء الذي يفيده[١].

وقد ورد أن سفيانَ بنَ عبد الله الثَّقَفِيَّ رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله أخبرني بشىء أعتصم به، قال: «**قُلْ ءامنتُ بالله ثمَّ اسْتَقِمْ**» قال قلتُ: ما أشدّ ما تتخوف عليّ فقال: «**هذا**» وأخذ بلسانه أي أخذ الرسول ﷺ بلسان نفسه فقال له «**هذا**»[٢]. الجزء الأخير من هذا الحديث كثير من الناس لا يعملون به، النفس لها شهوة كبيرة في الكلام الذي تهواه من غير تفكير في عاقبته، ماذا يصيبني من هذا الكلام في الآخرة؟ أو في الدنيا؟ من غير تفكير في عاقبة هذا الكلام الناس يتكلمون، لذلك الرسول ﷺ قال أشدّ ما أخاف عليك لسانك. حفظ اللسان أمر مهم، أكثر ما يهلك الإنسان في الآخرة معاصي اللسان، لأن الكلام سهل على اللسان، المشي يحتاج إلى كلفة أما اللسان سهل أن ينطق بما يشاء، أكثر الكفر يكون باللسان وأكثر العداوات سببها اللسان، وأكثر الخصومات كذلك، وأكثر أسباب التباغض والتقاطع هو اللسان، فكل إنسان ليحاسب نفسه وليفكر فيما يعود عليه بكلامه الذي يتكلم به قبل أن يتكلم فبذلك السلامة.

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان: كتاب العلم: باب السؤال للفائدة (٩٤)، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: باب حفظ اللسان (٢٧٥)، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: في التوبة وما يتصل بها (٩١٥)، التبصرة لابن الجوزي: (ص/ ١١٥)، الترغيب والترهيب للمنذري: (٣/ ١٣١).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: آثار وحكايات في فضل الصدق (٤٥٧٢).

١٦ - التزام الصدق مع الناس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[(١)]

وروي عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البِرّ، وإن البِرّ يهدي إلى الجنّة، وإن الرجل ليَصْدُقُ حتى يكتب عند الله صِدّيقًا**»[(٢)].

ومما جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «**فإنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ**»[(٣)].

وجاء عنه أيضًا عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه: **ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ**، معناه أبو ذر كامل الصدق.

وأما حديث: «**أن المؤمن لا يطبع على الخيانة والكذب**»[(٤)] هذا صحيح معناه المؤمن لا يكون الكذب والخيانة طبيعة له ليس معناه لا يكذب ولا

---

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (٦٠٩٤)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧)، شعب الإيمان للبيهقي: كتاب الجهاد: فصل في الرؤيا التي هي نعمة من نعم الله (٤٤٥٠).

(٣) سنن الترمذي: باب (٢٥١٨)، شعب الإيمان للبيهقي: المطاعم والمشارب وما يجب التورع عنه منها (٥٣٦٣)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الأحكام (٧٠٤٦).

(٤) سنن ابن ماجه: فضل أبي ذرّ: (١٥٦).

يخون لا إنما معناه لا يكون ذلك طبيعة له، الكذب فاش بين البشر من الذي يخلص من الكذب النادر، النادر الذي يسلم من الكذب بالمرة.

وعن عبدِ الله بن كعبِ بنِ مالكٍ، وكان قائِدَ كعبٍ رضي الله عنه مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعتُ كَعْبَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه يُحدِّثُ بحَديثِهِ حينَ تَخلَّفَ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تبُوكَ. قَالَ كعبٌ: لَمْ أتَخَلَّفْ عَنْ رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةٍ غزاها قط إلا في غزوة تبُوكَ، غَيْرَ أنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ؛ إنَّما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ الله تَعَالَى بَيْنَهُمْ وبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ ميعادٍ. ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ لَيلَةَ العَقَبَةِ حينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإنْ كَانَتْ بدرٌ أذْكَرَ في النَّاسِ مِنْهَا وكانَ مِنْ خَبَرِي حينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لم أكُنْ قَطُّ أَقْوى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عنهُ في تِلكَ الغَزْوَةِ، وَاللهِ ما جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا في تِلْكَ الغَزْوَةِ ولَمْ يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إلّا وَرَّى بِغَيرِها حَتَّى كَانَتْ تلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاستَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا، فَجَلَّى للْمُسْلِمِينَ أمْرَهُمْ ليتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فأَخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، والمُسلِمونَ مَعَ رسولِ الله كثيرٌ وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ «يُرِيدُ بذلِكَ الدّيوَانَ» قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلّا ظَنَّ أنَّ ذلِكَ سيخْفَى بِهِ ما لَمْ يَنزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ الله، وَغزا رَسُول الله

ﷺ تِلْكَ الغَزوَةَ حِينَ طَابَت الثِّمَارُ وَالظِّلال، فَأنَا إلَيْهَا أصْعَرُ، فتَجَهَّزَ رسولُ الله ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ وطَفِقْتُ أغْدُو لكَيْ أتَجَهَّزَ مَعَهُ فأرْجِعُ وَلَمْ أقْضِ شَيْئًا، وأقُولُ في نفسي: أنَا قَادرٌ عَلَى ذلِكَ إذَا أرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادى بي حَتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غَاديًا والمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أقْضِ مِنْ جهَازي شَيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أقْضِ شَيئًا، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بي حَتَّى أسْرَعُوا وتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لم يُقَدَّرْ ذلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ يَحْزُنُنِي أنِّي لا أرَى لِي أُسْوَةً، إلّا رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلمَةَ: يا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ. فقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ! واللهِ يا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إلّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأى رَجُلاً مُبْيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أبَا خَيْثَمَةَ»، فَإذَا هُوَ أبُو خَيْثَمَةَ الأنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِيْنَ لَمزَهُ المُنَافِقُونَ قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِبَ وأقُولُ: بِمَ أخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وأسْتَعِيْنُ عَلى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رأيٍ مِنْ أهْلِي، فَلَمَّا قِيْلَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنّي البَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أنِّي لَنْ أنْجُوَ مِنْهُ بِشَيءٍ أبَدًا، فَأجْمَعْتُ صِدْقَهُ وأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِمًا،

وكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فعَلَ ذلِكَ جَاءهُ المُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرونَ إِلَيْه ويَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعًا وَثَمانِينَ رَجُلا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعهُمْ واسْتَغْفَرَ لَهُمْ ووَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله تَعالَى حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ. ثُمَّ قَالَ: «تَعالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يدَيْهِ، فقالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إِنِّي والله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأيتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً ولَكِنِّي والله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليوم حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى به عنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أن يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله عزّ وجلّ، واللهِ ما كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فيكَ». وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلمَةَ فاتَّبَعُونِي فَقالُوا لِي: واللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذَا لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لا تَكونَ اعتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِما اعْتَذَرَ إِليهِ المُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ قَالَ: فَوالله ما زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُّ أَنْ أَرْجعَ إِلَى رسولِ الله ﷺ فأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلانِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُما؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبيعِ الْعَمْرِيُّ، وهِلاَلُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَينِ صَالِحَينِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فيهِما أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي. ونَهَى رَسُول

الله ﷺ عَنْ كَلامِنا أَيُّها الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِي الأَرْض، فَمَا هِيَ بالأَرْضِ الَّتي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانا وقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَان. وأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَومِ وأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَءاتِي رسولَ الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْه بِرَدِّ السَّلام أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِط أَبِي قَتادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ فَوَالله مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بالله هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينة إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بدَارِ هَوانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ البَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ الله ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسولَ الله

ﷺ يأمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أمْ مَاذَا أفْعَلُ؟ فقالَ: لاَ، بَل اعْتَزِلْهَا فَلاَ تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُوني عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ في هَذَا الأمْرِ. فَجَاءتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ الله ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تكْرَهُ أَنْ أخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ» فَقَالَتْ: إِنَّهُ واللهِ ما بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شيء، وَوَالله مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَومِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْتَ رسولَ الله ﷺ في امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لاِمْرَأَةِ هلاَلِ بْنِ أمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَأْذِنُ فيها رسولَ الله ﷺ وَمَا يُدْرِيني مَاذَا يقُول رسولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فكَمُلَ لَنا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلامِنا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صَباحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أوفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. فآذَنَ رسولُ الله النَّاسَ بِتَوْبَةِ الله عزّ وجلّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، فَكانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُني نَزَعْتُ لَهُ ثَوبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ ببشارته، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُما، وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ

رسولَ الله ﷺ يَتَلَقَّاني النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهنِّئونَني بالتَّوْبَةِ وَيقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رسولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَه النَّاسُ، فَقامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَني وَهَنَّأَنِي، واللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرينَ غَيرُهُ فكَانَ كَعْبٌ لاَ يَنْسَاهَا لِطَلْحَة قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول الله أَمْ مِنْ عِندِ الله؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله عزّ وجلّ»، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سرّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ مِنْ تَوبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». فقلتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيبَر. وَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ الله تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بالصِّدْقِ، وإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمينَ أَبْلاهُ الله تَعَالَى فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي الله تَعَالَى، واللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ إِلَى يَومِي هَذَا، وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي الله تَعَالَى فيما بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[1] حَتَّى بَلَغ:

---

(١) سورة التوبة: ١١٧.

﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾(١) قَالَ كَعْبٌ: واللهِ ما أَنْعَمَ اللهُ عَليَّ مِنْ نعمة قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ للإِسْلامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدقِي رسولَ اللهِ أَنْ لا أكونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذينَ كَذَبُوا؛ إنَّ اللهَ تَعالَى قالَ للَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شرّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فقال الله تَعالَى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾(٢) قَالَ كَعْبٌ: كُنّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئكَ الذينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وأرجأَ رسولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ تَعالَى فِيهِ بِذلِكَ. قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾(٣) وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفُنَا عن الغَزْوِ، وإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيّانا وإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إِلَيْهِ فقبِلَ مِنْهُ(٤).

---

(١) سورة التوبة: ١١٧، ١١٨.

(٢) سورة التوبة: ٩٥، ٩٦.

(٣) سورة التوبة: ١١٨.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حديث كعب بن مالك (٤٤١٨)، صحيح مسلم: كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩).

١٧- تجنُّب الغيبة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم**»[٢]. فإن هذه الاستطالة كبيرة بل من أشد الكبائر لوصف رسول الله ﷺ بأنها أربى الربا أي أنها في شدة إثمها كأشد الربا، والغيبة ذكرك أخاك المسلم بما يكرهه مما فيه في خلفه. فقد فسّر رسول الله ﷺ الغيبة بقوله: «**ذكرك أخاك بما يكره**»[٣] أي في خلفه. لأن ذكر المسلم في وجهه بما يكره إما إيذاء وإما شتم، وإنما الغيبة فهي ذكرك أخاك المسلم في خلفه مما يكره سواء بالقول الصريح أو أن تُعرِضَ تعريضًا من غير تصريح كل ذلك غيبة مُحرَّمة. إذا ذكرته تصريحًا مما يكره مما فيه وإن ذكرته تعريضًا فذلك أيضًا كأنك ذكرته تصريحًا ثم قيل لرسول الله ﷺ «أرأيت يا رسول الله إن كان في أخي ما أقول» قال: «**إن كان فيه فقد اغتبته فإن لم يكن فيه فقد بهتّه**»[٤]. البُهْتُ هو البهتان أشدّ من الغيبة. فإذا ذُكِرَ بما ليس فيه مما يكره فذاك أشد ذنبًا. ذاك يقال له: بُهْتٌ وبهتان. ذاك أشدّ من الغيبة في التحريم.

---

(١) سورة الحُجُرات: ١٢.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: تحريم أعراض الناس (٦٣٤٥)، المعجم الكبير للطبراني: حرف السين (٣٥٧).

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩)، سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في الغيبة (٤٨٧٤)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الغيبة (١٩٣٤).

(٤) صحيح مسلم: باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩)، سنن أبي داود: باب في الغيبة (٤٨٧٤)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الغيبة (١٩٣٤)، شعب الإيمان: باب الغيبة (٥٧٥٨).

١٨ - اجتناب النميمة والسعاية بالمسلم بغير الحقّ لإيذائه

وعن النبيّ ﷺ: «**لا يدخل الجنة قــتّــات**»[١]. والقَتّات هو النّمام، ومعناه لا يدخلها مع الأولين. والنميمة نقل القول للإفساد كأن ينقل بين اثنين مثلاً ينقل من أحمد إلى عصام ومن عصام إلى أحمد للإفساد إن كان حصل أو لم يحصل ما قاله هذه نميمة.

والسِعايةُ بالمسلم أي نقلُ خبره إلى محل ذي سُلطةٍ لإيقاع الضرر به من القتل فما دونه ذنبٌ عظيمٌ عند الله ففي التّوراة ما أخبر به رسول الله ﷺ تفسيرًا لقول الله تعالى في القرءان إخبارًا عمّا أنزله الله تعالى على موسى «**ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله**»[٢]. أمّا ما ذكره رسول الله ﷺ: «**ومن قام لمسلمٍ مقام رياءٍ وسُمعة أقامه الله تعالى يوم القيامة مقام رياءٍ وسُمعة**»[٣] فتفسير هذا أنّ الذي يرتكب هذه المعصية وهي أن يقصد إنسانٌ رفع شأن نفسه عند الناس وتهشيم مسلمٍ ءاخر ظلمًا بإيذائه إما في وجهه وإما في خلفه يُفخِّمُ نفسه ليُنظر إليه بعين الإجلال ويُحمد

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب ما يكره من النميمة (٦٠٥٦)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان غلظ تحريم النميمة (١٠٥)، سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب في القتات (٤٨٧١)، سنن الترمذي: باب ما جاء في النمام (٢٠٢٦).

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في قبلة اليد والرجل (٢٧٣٣)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الإيمان (٢٠).

(٣) شعب الإيمان: فصل فيما ورد من الأخبار في التشديد على من اقترض من عرض أخيه شيئا بسبب أو غيره (٦٢٩١)، المعجم الكبير والأوسط للطبراني (٧٣٥، ٣٥٧٢).

فيُهشِّمُ الآخر هذا معنى الحديث «**ومن قام لمسلم مقام رياءٍ وسمعة أقامه الله تعالى مقام رياءٍ وسُمعةٍ**» معناه يوم القيامة يفضحه يكشف الله تبارك وتعالى حال ذلك الإنسان الذي كان في الدنيا تكلّم ليُفخم نفسه ليمدحه الناس ولينظروا إليه بعين الإجلال فهشّم ذلك المسلم عظّم نفسه وفخّمها لتهشيم ذلك المسلم، هذا الله تعالى يُجازيه جزاءً وفاقًا يوم القيامة. يوم القيامة يفضح هذا الإنسان الذي تكلّم على مسلم بما يُظهر به لنفسه النزاهة وعلوَّ المقام والرِّفعة أي رفعةَ القَدْر في تهشيم ذلك الإنسان يفضحه بين الناس يُقال عنه يوم القيامة إنّ فلانًا قام يوم كذا وقال كذا وتكلّم عن نفسه بما فيه رفع شأنه وما فيه تهشيم فلان، الفضيحة في ذلك اليوم تكون شديدة على النفس في ذلك الجمع العظيم، أمّا هنا الفضيحة تكون أمام واحد أو اثنين أو عشرة أو عشرين أو نحو ذلك لا توازي تلك الفضيحة التي تكون في الآخرة.

١٩- حفظ أسرار الناس

قال بعض الأكابر: «**صدور الأحرار قبور الأسرار**»[١].

ففي كتاب رياض الصالحين للحافظ النووي في باب حفظ السرّ:

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٩/ ٣٧٧)، إحياء علوم الدين: (٢/ ١٧٩)، الرسالة القشيرية: (ص/ ٢٠٦).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تأيَّمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة فقلتُ: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. فلقيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصَمَتَ أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إلي شيئًا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا، فقال: نعم، قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها النبي ﷺ لقبلتها. رواه البخاري.

قوله: «تأيمت» أي صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي رضي الله عنه. «وجدْتَ»: غَضِبْتَ.

في البخاري وغيره ذكر حذيفة أنه كان يوجد أناس يعرفون أسماء المنافقين معه ثم ماتوا ولم يبق غيره فمن ادعى أن الرسول خصّه بشيء دون غيره من الصحابة فقد باين الصواب وذلك ضد ما قاله حذيفة أن الرسول ما خصّه بذلك بل إن الذين كانوا معه ممن سمعوا من الرسول ماتوا ولم يبق إلا هو، فصار يُعرف بحافظ سرّ رسول الله.

ورَوَى ابنُ الجوزيِّ من مَناقبِ عمر بنِ الخطّاب أنه قال: واعتَزِلْ

صَديقَكَ إلا الأَمِين ولا أمينَ إلا مَن يخشَى اللهَ عزّ وجلّ ولا تَمشِ معَ الفَاجِرِ فيُعلِّمَك مِن فُجُورِه ولا تُفْشِ إليهِ سِرّكَ واستَشِر في أَمرِكَ الذين يخشَونَ اللهَ عزّ وجلّ. فمهما كان الإنسان كاملا يحتاج إلى المشاورة.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ أَزْوَاج النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشيتها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا، فلَمَّا رَءاهَا رَحَّبَ بِهَا، وقال: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبكَتْ بُكَاءً شَديدًا، فَلَمَّا رَأى جَزعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ؟ فقالَتْ: أَمَّا الآن فَنَعَمْ، أَمَّا حِيْنَ سَارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَى فأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرءانَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟**» فَضَحِكتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ[١].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٢٣)، صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام (٢٤٥٠)، سنن ابن ماجه: كتاب الجنائز: باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ (١٦٢١)، مسند أبي داود: أحاديث النساء (١٤٧٠).

٢٠ - اجتناب قتال المسلم للدنيا

معناه قتل المسلم بلا حق ذنب كبير يشبه الكفر. فعن عبد الله بن مسعود في الصحيحين: «**قتال المسلم كفر**»[١].

الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لزوال الدنيا أهون عند الله تعالى من قتل رجل مسلم**»[٢]. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان. زوال الدنيا كلها أهون عند الله من قتل رجل واحد مسلم. قتل المسلم ليس أمرا هينًا، مائة زنا لا يعادل قتل مسلم في شدة المعصية.

قصة قتل نبيّ الله يحيى عليه السلام

كان سبب قتل يحيى أنَّ امرأة ملك ظالم في فلسطين كبرت سنها فرغب عنها الملك فأرادت أن تخلفها ابنتُها عنده فسأل الملك نبي الله يحيى هل يجوز لي أن أتزوج بنت زوجتي قال يحيى لا وأصرّ على ذلك فتلك المرأة زينت ابنتها بحيث صارت تغوي الناظر إليها وقالت للملك اقتل يحيى تحصل على البنت، فقالت للمِلك اقتل يحيى يصفو لك الجو، فَقُتِلَ يحيى وأتي برأسه إلى هذا الملك، كفر بالله من أجل الوصول إلى هذه البنت

---

(١) بلفظ قريب روي في: صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (٤٨)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٦٤).

(٢). تقدم تخريجه.

وكان في بر الشام فجعل الدم الذي نزل من يحيى يفور يغلي في الأرض حتى جاء ملك من العراق وقتل سبعين ألف نفس منهم فهدأ الدم[١].

قصة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كانت الخوارج تقول من ارتكب معصية كفر كانوا يكفرون المسلمين بغير حق -هم قتلوا عليًا كان خرج لصلاة الصبح بالناس. أحد هؤلاء قالت له بنتٌ، سيدنا علي قتل أباها وأخاها، إن قتلت عليًا أنا أتزوجك بلا مهر وأعطيك ثلاثة ءالاف درهم، اقتل عليًا. فذهب حمل سيفًا انتظر وقت خروج سيدنا علي وقت الصبح، ضربه على رأسه وهو ينادي الصلاة الصلاة. ثم الناس أخذوه، هو من شدة عدله قال «إن متُّ من هذه الضربة فاقتلوه وإن لم أمت لا تقتلوه فاحبسوه».[٢]

والمساعدة في قتل رجل مسلم بغير حق كذلك من الكبائر حتى لو قال شخص «أقـ» يعني ما كمّل أراد أن يقول اقتل فلانًا فقال «اُقْـ» ثم وقف، أعطاه كلمة «اُقْـ» قصده اقتل، هذا عند الله تبارك وتعالى يستحق عذابًا أليمًا، فكيف الذي يعطيه سلاحًا ويحرّضُه ويكرر عليه اقتل كيف تتركه هؤلاء قتلوا لك أباك، هؤلاء قتلوا لك أخاك هؤلاء قتلوا لك عمّك كيف

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: بيان سبب قتل يحيى عليه السلام.

(٢) الشريعة للآجرّي: باب ذكر ما فعل بقاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (١٥٩٩).

تسكت خذ بالثأر. الذي يكلمه ويحثّه ويحضّه بعبارة صريحة ذنبه أعظم. بعض العرب وكذلك بعضٌ من غير العرب يحرّضون بعضهم بعضًا على قتل شخص ليس هو قاتلا إنما هو لكونه قريب القاتل، يحرّضون بعضهم بعضًا على قتل هذا القريب، فهؤلاء ملعونون لعنة لا تفارقهم إلى يوم القيامة. فعلى الإنسان أن لا يقع في هذه المعصية وينهى غيره، القاتل أشد عذابًا والذي حرّض عذابه شديد أيضًا ثم الذي يسكت ولا يمنعهم ذلك مع استطاعته ذلك يستحق عذابًا شديدًا. الورثة لا يجوز لهم إلا أن يطلبوا حقهم من القاتل عينه، أما أن يطلبوا أخذ الثأر من أقرباء القاتل فهذا عمل الجاهلية الأولى. هذا عمل الجاهلية التي نهى الرسول عن عملها. إذا أعطى شخص شخصًا سكينًا أو سيفًا ليقتل به شخصًا ظلمًا هذا عذابه في الآخرة شديد هذا الذي أعطى السلاح، لكن لا يُقتل لأنه ما أجبره على القتل، لا يستطيع إجباره. في الدنيا عجائب من الجرائم يوجد عجائب من الجرائم، وتوجد جريمة في بعض البلاد أشنع من هذه وهي أن الذي يخطب بنتًا لا تقبل خطبته حتى يقتل شخصًا والعياذ بالله شىء شنيع شنيع يستحي اللسان من ذكره. لا يجوز الإقدام على قتل المسلم لو كان بطريقة الإكراه لا يجوز. نسأل الله السلامة.

٢١- تجنب الفحش والسبّ وقذف الناس واتهامهم واللعن

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾(١).

وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق**»(٢) أي أنَّ سبّ المسلم من الكبائر بدليل تسميته فسوقًا. وأما القذف كأن يقول شخص فلان زان أو فلانة زانية وكان هذا المقذوف عفيفًا عن الزنا.

وقال ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**»(٣). معناه ذنب كبير واللعن معناه البعد من الخير. وقد قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيِّ**»(٤).

٢٢- تحاشي السخريّة بالناس

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة الحُجُرات: ١١.

(٢) التخريج السابق.

(٣) الأدب المفرد: باب ما يقول الرجل إذا زُكّي (٧٦٣)، سنن الدرامي: كتاب الديات: باب التشديد على من قتل نفسه (٢٤٠٦)، المعجم الكبير للطبراني: حرف الثاء (١٣٣٠).

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب الإيمان (٢٩)، سنن الترمذي: باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٧)، شعب الإيمان للبيهقي: حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه (٤٧٨٦).

(٥) سورة الحُجُرات: ١١.

أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر عليه ولا ذو حسب بلئيم الحسب مما ينقصه به عسى أن يكون عند الله خيرًا منه والقوم اسم للرجال من دون النساء لذلك قال: «ولا نساءٌ من نساء»[١] وتلمز بمعنى تعيبُ والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تتداعوا بها، والألقاب جمع لقب وهو اسم يُدعى به الإنسان سوى الاسمِ الذي سُمِّيَ به وللمفسرين في المراد بهذه الآية أربعة أقوال أحدُها تعيير التائبِ بسيئاتٍ قد كان عملها والثانيةُ تسميتُهُ بعد إسلامِهِ بدينه قبل الإسلام كقوله لليهودي إذا أسلم يا يهودي وهذان القولان مروِيّان عن ابن عباس والثالثُ تسميته بالأعمال السيئة كقوله يا زانٍ يا سارق يا فاسق قال أهل العلم: والمراد بهذه الآية الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يُعَدُّ ذمًّا له، فأما الألقاب التي تُكسِبُ حمدًا وتكون صدقًا فلا تكره كما قيل لأبي بكر رضي الله عنه عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذو النورين ولعليّ أبو تراب ولخالد سيفُ الله ونحوُ ذلك.

فلا يجوز الاستهزاء بالمسلم أي التحقير له، وكذلك كلّ كلام مؤذ له إذا كان بغير حقّ، وفي حكم الكلام المؤذي الفعلُ والإشارةُ اللذان يتضمنان ذلك. وفي النهي عن إظهار الشماتة بأخيك المسلم ما ورد عن رسول الله ﷺ: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**»[٢].

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) سنن الترمذي: باب (٢٥٠٦)، شعب الإيمان للبيهقي: تحريم أعراض الناس (٦٣٥٥).

٢٣- البرّ والإحسان للناس

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[١].

وللبرّ والإحسان ءاثار عظيمة فهما مكسبة لحبّ الناس وودّهم، وأسهل البرّ وأبسطه الملاطفة مع الناس وطيب الكلام معهم.

فالإحسان إلى الناس هو أقصر الطرق إلى قلوبهم. فلا مجلَبة لقلوب الناس كالإحسان إليهم ولا منفّر لها كالإساءة إليهم. إن كلّ صُوَرِ البِرّ والإحسان إلى الناس مدعاة لحسن التعامل بينهم وكسب حبّهم وودهم سواء كان الإحسان في صورة تقديم خدمة أو قضاء حاجة أو إعطاء صدقة أو كان في صورة تواصل أو تراحم أو تعاطف أو ملاطفة أو مداراة بكلمة طيبة.

فقلوب الناس تتوق إلى من يحسن إليهم وتحبّه لأنها مجبولة ومفطورة على ذلك.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلح: باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم (٢٧٠٧) وكتاب الجهاد والسير: باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩)، شعب الإيمان للبيهقي: التحريض على صدقة التطوع (٣٠٥٣).

كما ينبغي للمرء في تعامله مع الناس أن يَبَرَّ بهم ويحسن إليهم وأن لا يمُنّ عليهم إحسانه ينبغي لهم بدورهم أن لا يجحدوا ذلك الإحسان إذا قدّم لهم، ففي كتاب التّرغيب والترهِيب للمُنذِريّ: وعن عُقبة بنِ عَامِر رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كُلُّ امرِئ في ظِلّ صَدقَتِهِ حتى يُقضَى بَينَ النّاس**»[1] قال يَزيد فكانَ أبو الخيرِ مِرثدٌ لا يُخطئه يومٌ إلا تصدَّقَ فيه بشيء ولو بكَعكةٍ أو بصلة.

الحياء من الإيمان

روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والحياء شعبة من الإيمان**»[2]. وهو الحياء الذي يبعث على تجنّب الرذائل. وأما حديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[3] معناه الذي خلع جلباب الحياء يصنع ما يشاء هذا ذمّ لمن لا يستحي لأن الحياء يمنع من الرذائل فمن ليس له حياء ينطلق في الرذائل.

وروي عن النبي ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: «**من حفظ الرأس وما حوى**

---

(١) شعب الإيمان: التحريض على صدقة التطوع (٣٠٧٧)، المستدرك على الصحيحين: كتاب الزكاة (١٥١٧)، صحيح ابن حبّان: باب صدقة التطوع: ذكر البيان بأن ظل كل امرئ في القيامة يكون صدقته (٣٣١٠)، المعجم الكبير للطبراني: حرف الميم (٧٧١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب أمور الإيمان (٩)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب شعب الإيمان (٣٥)، سنن أبي داود: كتاب السنة: باب في رد الإرجاء (٤٦٧٦)، سنن ابن ماجه: باب في الإيمان (٥٧).

(٣) شعب الإيمان: الحياء (٧٣٨٨)، الأدب المفرد: باب الحياء (٥٩٧)، السنن الكبرى للبيهقي: باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها (٢٠٧٨٧).

والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيا من الله حقّ الحياء»[١] وروي «**الجوف وما وعى**»[٢] فقيل: معناه البطن والفرج فيكون تأويله ألا يضع في بطنه إلا حلالاً ولا يضع فرجه إلا في حلال. قيل للحسن البصري: نريد منك وصية، قال: درهم من حلال وأخ في الله وجنّبك الله الأَمَرَّين ووقاك شرّ الأجوفين[٣]. الأجوفان هما البطن والفرج والأمرّان الفقر والهرم.

وللحياء المحمود ءاثار خُلُقية حسنة تظهر على نفس الإنسان، منها:

* الصد عن الفعل القبيح.
* المروءة.
* عدم لقاء الناس بما يكرهون.
* اللين مع الناس.
* الرأفة بهم.
* البشاشة معهم.
* حسن الثناء عليهم.
* السماحة.
* العفّة.

---

(١) سنن الترمذي: باب (٢٤٥٨)، الآداب للبيهقي: باب من اتقى الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات (٨٣٦)، المعجم الصغير للطبراني: حرف السين (٤٩٤).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك: باب الهرب من الخطايا والذنوب (٣١٧)، شرح السنة للبغوي: كتاب الرقاق: باب التجافي عن الدنيا (٤٠٣٣).

(٣) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: (ص/ ٥٩٥).



حسن الظن بالناس



قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[١].

وقال ﷺ: «**فإنّ الظنّ أكذب الحديث**»[٢]. فسوء الظن بعباد الله المؤمنين أن يظنّ بهم السوء بغير قرينة معتبرة.

وقال بعض الأكابر: «من حَسُن ظنّه طاب عيشه»[٣].



الأمانة وأداؤها



قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[٤] الأمانة هنا هي التكاليف الشرعية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا

---

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (٢٥٦٣)، سنن أبي داود: باب في الظن (٤٩١٧).

(٣) معجم الأمثال للميداني: (٢/ ٣٢٧).

(٤) الأحزاب: ٧٢.

(٥) سورة النساء: ٥٨.

غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[١].

ولكي يكون المرء أمينًا في معاملة الناس لا بدّ أن يكون صادقًا معهم ومحل ثقة واطمئنان واعتماد من قبلهم، ولا بدّ أن يؤدّي ما يؤتمن عليه من جانبهم.

والحديث: «**أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[٢]. **وقال** ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[٣] معناه المسلم لا يكون مسلماً كاملا حتى يكون محافظًا على الأمانة. وكان من عِظَم إخلاص الإمام الشافعي أنه كان يحبّ أن ينتشر علمه من غير إشراف نفس إلى أن يُعرف بذلك ليبجّله الناس ويعظموه إنما كان قصده نشر الحقّ بين الناس ولم يكن في نيته أن يشار إليه بالأصابع لوفور العلم والتفوق في المعرفة فلولا ذلك لما أظهر علمه. ومن عظيم تواضع الإمام الشافعي أنه كان لا يريد الإمامة في الصلاة خوفًا من تحمل الأمانة مع أنه كان أفقه أهل عصره وأعلمهم وأحسنهم صوتًا بالقراءة. وأمّا ما ورد أن أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر

---

(١) سورة النور: ٢٧.

(٢) سنن الترمذي: باب (١٢٦٤)، سنن أبي داود: باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣٥٣٤)، شعب الإيمان للبيهقي: فصل في المزاح (٤٨٧٣).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي: الإيفاء بالعقود (٤٠٤٥)، صحيح ابن حبّان: ذكر خبر يدل على أن المراد بهذه الأخبار نفي الأمر عن الشيء للنقص عن الكمال (١٩٤)، المعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني (٧٧٩٨، ٢٢٩٢، ١٦٢).

ابن الجراح معناه متمكن في صفة الأمانة ليس معناه لا يوجد غيره أمين في الأمة. وأما معنى «استودع الله دينك وأمانتك» يحتمل أن يكون معنى الأمانة هنا عقيدته.

ويحكى أنه كان صديقان حميمان بلغا من الثقة المتبادلة لدرجة أن أحدهما أعطى الآخر مفتاح بيته. وذات يوم اتفقا على الخروج في رحلة فمرض الصديق الذي بيده المفتاح وأعلم صديقه بعدم الذهاب معه في الرحلة. فما كان من الصديق المريض إلا أن جاء إلى منزل صديقه وفتح الباب وما إن رأى جمال زوجة صديقه حتى خان وحاول إرغامها على الحرام. وكان هناك كلب رأى أنّ هذا الشخص ليس زوجًا لصاحبة المنزل فهاجمه وقتله. وحينما رجع زوجها وعرف القصة أنشد:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجبًا للخِل يهتك حرمتي ... ويا عجبًا للكلب كيف يصون



قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[١].

قال ابن عباس: يعني ما أحلّ الله وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرءان كله[٢].

وقد قال الرسول ﷺ: «**ثلاث مَن كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[٣]. وقال ﷺ: «**ولا دين لمن لا عهد له**»[٤] أي لا يكون كامل الإيمان من لا يحافظ على العهد.

هذا المنافق هو المنافق في العمل، لأنّ النفاق نوعان نفاق في العمل ونفاق في الإيمان. المسلم الذي يكذب في حديثه ويُخلف في الوعد وإذا اؤتمن يخون وإذا خاصم يفتري على الشخص الذي يخاصمه، هذا يقال له منافق في العمل، لم يخرج من الإسلام. أما المنافق في الإيمان فهو الذي يظهر الإيمان وهو كافر، قلبه لا يحبّ الإسلام بل يكره الإسلام.

(١) سورة المائدة: ١.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٣/ ٥).

(٣) صحيح ابن حبّان: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن خطاب هذا الخبر ورد لغير المسلمين (٢٥٧)، سنن النسائي: علامة المنافق (٥٠٢٣)، السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الوديعة: باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات (١٢٦٨٧).

(٤) شعب الإيمان: الإيفاء بالعقود (٤٠٤٥)، صحيح ابن حبّان: ذكر خبر يدل على أن المراد بهذه الأخبار نفي الأمر عن الشىء للنقص عن الكمال (١٩٤)، المعجم الكبير والصغير للطبراني (١٠٥٥٣،٢٦٠٦).

ومن العهود التي يجب على المرء المسلم الوفاء بها العقود المشروعة التي يتعامل بها مع غيره من الناس مثل: البيع والإجارة.

فلكي يحسن المرء معاملة الناس جدير به أن يفي بوعوده لهم مع التحلي بالأخلاق الحسنة في ذلك.

تجنب الخصومات في معاملة الناس وأذاهم

التبين والأناة في اتخاذ المواقف من الناس

فقد ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيَغْفِرُ الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء فيقال أَنْظِروا هذين حتى يَصْطَلِحا»**[١]. معنى الحديث أن هذين مستثنيان، لا يغفر الله لهما في ذَيْنِك اليومين، هذان اليومان أكثر الأيام مغفرة للذنوب، ومع ذلك يقال للملائكة أخِّروا هذين حتى يتصالحا لأن بينهما تحاقدًا، أما لغيرهما من المؤمنين يَغفر لهم، ليس معناه كلّ الذنوب تُغفر لكل العباد، إنما معناه لبعض الناس يُغفر كل ذنوبهم ولبعض الناس بعض ذنوبهم، الخميس

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب النهي عن الشحناء والتهاجر (٢٥٦٥)، سنن أبي داود: كتاب الأدب: باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٤٩١٦)، سنن الترمذي: باب ما جاء في المتهاجرين (٢٠٢٣).

والاثنان لهما فضل من بين الأيام في بعض النواحي، وفي بعض النواحي الجمعة أفضل. وقد قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلِمُه ولا يُسْلِمُه ولا يَحقِرُه**»[١].

فمن عمل بهذا الحديث رفعه الله درجات، فمن أراد الترقي وحسن الحال عند الله فليعمل بهذا الحديث وليتواضع لأخيه وليحسن الظنَّ به، إنَّ تحسين الظنّ بين المؤمنين يوصل إلى المعاملة الحسنة بين المسلمين فيحصل له حسن الخلق وهو عمل المعروف وكفّ الأذى عن الغير وتحمّل أذى الغير، هذه سيرة الأنبياء والأولياء.

«**ولا يسلمه**» معناه لا يتركه يُظلم وهو يستطيع دفع الظلم عنه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا من دعا إلى عصبية**»[٢] أي الذي يساعد قومه على الظلم ويدعو لذلك.

عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه قَالَ: يَا أَيّها النَّاس، إنّكم لتَقرؤُون هذِهِ الآية: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ**﴾[٣] وإني سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أوشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[٤]. والله

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سنن أبي داود: باب في العصبية: (٥١٢١).

(٣) سورة المائدة: ١٠٥.

(٤) شعب الإيمان: الحكم بين الناس (٧١٤٤)، سنن أبي داود: باب الأمر والنهي (٤٣٣٨)، سنن الترمذي: باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (٢١٦٨).

لا يحب الظلم وهو منزّه عنه، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان لأخيه عنده مظلمة فليتحلله قبل أن لا يكون دينار ولا درهم**»[١] معنى الحديث أن الذي ظلم أخاه في هذه الدنيا أي ثبتت لأخيه عليه مظلمة كأنْ أكل ماله إن قلّ ذلك المال أو كثر فليتحلله في الدنيا فإنه لا يكون في الآخرة دنانير ولا دراهم يستوفي المظلوم حقّه بها، إنما يكون استيفاء الحقوق في الآخرة أحد أمرين: إما أن يؤخذ من حسنات الذي ظلم فيُعطى المظلوم هذه الحسنات، وإن ضاقت حسناته عن ذلك، أي لم تسع مظالم الناس، أُخِذ من سيئات المظلومين فطُرحت عليه فيُقذف في النار. ومن المؤمنين من يُوَفي الله عنهم من خزائنه، أي من خزائن فضله، المظالمُ ليست أكل المال ظلمًا فقط بل الذي ظلم أخاه المسلم مشافهة في وجهه أو بشتم في خلفه ثم يَبْلُغُه أن فلانًا قال فيك كذا وكذا، كل ذلك مظلمة. وكذلك إن ضرب المسلمُ المسلمَ بغير حقّ سواء كان قريبه أو غير قريبه فإنّ ذلك أيضًا مظلمة. وكذلك إذا رَوَّع مسلمٌ مسلمًا قصدًا إما بنية المزح أو غير ذلك فإن ذلك أيضًا مظلمة. وكذلك إن استعمل شيئًا لأخيه المسلم بدون رضاه وهو يعلم ذلك فإنّ ذلك أيضًا مظلمة، فكل ذلك لا يُهمَل يوم القيامة. فقد جاء في الحديث «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[٢].

---

(١) المعجم الصغير للطبراني: حرف الحاء (٣٤٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٠)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (٤١)، سنن أبي داود: باب في

وقد قال أحد العلماء موصيًا بعض تلاميذه:

أنت كن محتاطًا في الكلام مع الناس، قد تظن أن بعض الكلام لا يثير النفس وهو في حقيقة الأمر يثيرها. تحرّ اللطف في معاملتك وفي الخطاب والحركات، هذا مطلوب من كل الإخوة والأخوات لأن الأحوال تختلف.



الإصلاح بين الناس



قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾** ﴾[١].

أي بين كل اثنين منكم لحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها في الصحيحين: «**ليس الكذاب الذي يقول خيرًا وينمي خيرًا**»[٢]، قالت: ولم أسمعه يرخّص في شيء مما يقول الناس كذبًا إلا في ثلاث: **الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة الرجل**.

فكم هي السعادة التي يشعر بها المرء حينما يسعى في إصلاح الناس وفي

الهجرة هل انقطعت (٢٤٨١)، سنن الترمذي: باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢٦٢٧).

(١) سورة الحُجُرات: ١٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلح: باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس (٢٦٩٢)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه (٢٦٠٥)، شعب الإيمان: حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه (٤٤٥٦).

التقريب والإصلاح فيما بينهم، وكم هي السعادة التي يشعر بها الطرفان المتباعدان من جراء تلك الوساطة الإصلاحية التي تؤدي إلى التقارب بينهما.

ومعنى «**حديث الرجل امرأته**» ليس معناه في مطلق الأحوال إنما معناه إذا نشزت له ذلك اذا قال لامرأته لدفع النشوز والأذى أنا أحب لك الخير ولو كان هو بخلاف ذلك ليردها للطاعة أو ليكفها عن شر.

فلا يجوز الكذب على الزوجة بلا سبب، لمجرد تطييب خاطرها لا يجوز، إذا نشزت فكذب عليها لترجع يجوز. إذا نشزت يحدثها حديثًا فيه كذب حتى يؤلّف قلبها وترجع إلى طاعته. ونشوز المرأة هو خروجها عن طاعة زوجها أو تخشينها الكلام أو الامتناع من الاستمتاع المباح. وأما معنى الحديث **في الحرب** فيكذب على العدوّ يقال لهم جيشنا كذا عدده وسلاحنا كثير ونحو ذلك. أما في الاصلاح بين الناس لا خفاء فيه، بين متخاصمين يقول «**ما قال فيك هذا**» حتى لا تصير بينهما عداوة ونحو ذلك. وكذلك للضرورة يجوز لإنقاذ الشخص نفسه من ضرر أو لإنقاذ مسلم من ضرر.

فعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَين صَدَقَةٌ**»[١]. ومعنى «**تعدل بينهما**» تصلح بينهما بالعدل.

(١) سبق تخريجه.

اجتناب التعصب المذموم

لحديث أنس بن مالك في الصحيحين: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» فقال رجل: يا رسول الله أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ فقال: «**تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه**»[١].

وفي الحديث: «**من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله النار عن وجهه يوم القيامة**»[٢]. وفي لسان العرب أعراض الناس أعراقهم وأحسابهم وأنفسهم، والعِرض موضع المدح والذم من الإنسان سواء في نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره.

معناه شخص أراد أن يطعن في شخص مسلم بغير حق فدافع عنه وما أشبه ذلك، كذلك لو أراد أن يرمي مسلمًا بالزنى أو اللواط بغير حق فدافع عنه.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المظالم والغصب: باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما (٢٤٤٤)، شعب الإيمان للبيهقي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٢٠١)، مسند أحمد: مسند انس بن مالك (١٣٠٧٩).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: التعاون على البر والتقوى (٧٢٢٨)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم (١٩٣١).

التسليم بأخطاء الذات



العَودُ عن الأخطاء



فإذا أراد المرء أن يحسن معاملة الناس فليكن حكيمًا في أن لا يتعصب لأخطائه وأن يصلح أخطاءه فإن في إصلاحه خطأه راحة له ولمحدّثه ولا يلتفت أنه سيشعر بالحرج. وأما حديث: «**من ابتلي بشيءٍ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله**»[١] يؤخذ منه أنه يجوز أن يستر على نفسه ويتوب من غير أن يذهب للحاكم ليعترف أنه زنى مثلا.

لا توطد نفسك أن لا تتعامل إلا مع الكامل. أين فينا الكامل؟ ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟!!

فقد جاء في الحديث: «**طوبَى لِمَن شغلَه عيبُه عن عيوبِ الناس**»[٢]. المُؤمن يهذب نفسه قبل أن يشتغل بالتنقيب عن عيوب غيره.

---

(١) الموطأ: كتاب الحدود: باب المعترف على نفسه بالزنا (١٧٦٩)؛ شعب الإيمان: الستر على أصحاب القروف (٩٢٢٦).

(٢) شعب الإيمان: الزهد وقصر الأمل (١٠٠٧٩)، مسند الشهاب للقضاعي: كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب (٦١٣).

تقديم إصلاح الأخطاء قبل الانتقاد

المؤمن يهذب نفسه قبل أن يشتغل بالتنقيب عن عيوب غيره قال المناوي: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس فلم يشتغل بها فعلى العاقل أن يتدبر في عيوب نفسه فإن وجد فيها عيبًا اشتغل بإصلاح عيب نفسه فيستحي من أن يترك نفسه ويذم غيره، والعيوب منها ما يتعلق بفعل الشخص باختياره ومنها ما لا يتعلق باختياره كالخلقة الدميمة فلا يجوز ذمه بها، قال رجل لبعض الحكماء: يا قبيح الوجه، فقال: ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه، وقال البيهقي: ذكر رجل عند الربيع بن خثيم ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ منها إلى ذم غيرها إن العباد خافوا الله على ذنوب غيرهم وأمنوا على ذنوبهم»[١]

قال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: «ما دخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه»[٢]. قال الإمام الشافعي: «من ظنّ في نفسه فوق ما يساوي ردّه الله إلى قيمته»[٣] معناه يكشف حقيقته للناس هذا حثّ على التواضع.

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير: حرف الطاء: (٢/ ١١٩).

(٢) البرهان المؤيَّد للسيد أحمد الرفاعي.

(٣) المجموع شرح المهذب: (١/ ١٣).

كيفية التعامل حينما يخطئ الآخرون

فعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رسول الله ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «**إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شيء مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْءانِ**»[١].

من الأسباب التي يكون لها وقع شديد على نفوس الناس وتسبِّب الانقباض والتذمر واليأس فيهم وعدم الاندفاع والتقدم تبيان أخطائهم بشكل هجومي أو لاذع أو بشكل مباشر وتضخيم غلطاتهم وعثراتهم.

فالتزم الرفق بالناس والشفقةَ فإن الرفق زَيْن والعنف شَيْن، فاختر لنفسك الزين. ينبغي أن تكون الموعظة بالحكمة والرِّفق. قال ﷺ: «**ما**

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧)، سنن النسائي: كتاب السهو: الكلام في الصلاة (١٢١٨)، القراءة خلف الإمام للبخاري: باب وجوب القرءاة للإمام والمأموم (٣٩).

كان الرفقُ في شىءٍ إلا زانَه»[١] وفي لفظ ءاخر: «**إنَّ الله يحبّ الرفق في الأمر كله**»[٢] معنى الرفق هو العمل بالوجه الأحسن بالصبر على معاملة الناس، فالواعظ والناصح ينبغي أن يكون وعظُه ونُصحُه برفقٍ، أي بطريقةٍ تقرِّبُ الذي يوجِّه إليه النُّصْحَ مُقَرِّبة للمدعوِّ.

وكمثال: نجار يعمل في ورشة له وله مساعد جاء يتدرب على يديه. يكلّف النجار مساعده بصناعة منضدة، فيقوم الأخير بإنجازها امتثالا لطلب أستاذه، وقد أُنجِزت المنضدة ضعيفة غير متماسكة. فيأتي النجار لمساعده ويقول له مقرعًا: ما هذه المنضدة؟ إنك لا تفقه شيئًا في فنّ النجارة ويجدر بك أن لا تصبح نجارًا.

إن أسلوب النجار هذا قد لا يؤدي إلى عدم إصلاح خطأ المساعد فحسب بل قد يعمل على إحداث حالة يأس فيه من التقدم في فنّ النجارة والاستمرار فيها، وربما ترك النجارة الى غير رجعة إليها. بينما لو استخدم أسلوبًا ءاخر وقال لمساعده إنني في بداية اشتغالي بالنجارة لم أكن أوفر حظًّا مما أنت عليه الآن، وءامُل أن تحظى بمستقبل جيد في فنّ النجارة، فالمنضدة التي صنعتها كان حريًا بك أن تجعلها أكثر قوة ومتانة وجمالا، وإني أظنّ أن مستواك في حرفة النجارة سيشهد تطورًا ملموسًا في المستقبل بإذن الله.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قال بعض الصوفية:

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجّة لا شك فيها فانصحه في السرّ، ولا يخدعنّك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه، فينظر إليك بعين التعظيم، وتنظر إليه بعين الاستصغار، ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص، وينبغي أن يكون تركه لذلك النقص بغير وعظك أحبّ إليك من تركه بوعظك[١].

فالمسلم إذا فكّر في المسلم أنه أحسن منه لا يضرُّه حتى يتيقن أن فيه ما يُخِلُّ بالعدالة عندئذ ينصحه حتى يصلح هذا الحالَ. أما ما لم يرَ فيه شيئًا يُخل بالعدالة يعتقد أنه أحسن منه.

وقد قال الإمام الرفاعيّ: «**حاربوا الشيطان ببعضكم، بنصيحة بعضكم، بخُلُق بعضكم، بحالِ بعضكم، بقالِ بعضكم**»[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن مرءاة أخيه**»[٣]. معناه ينصحه، المرءاة أليس تكشف ما يكون في وجه الإنسان مما لا يُعجب ليُزال، الرسول شبّه المؤمن بالمرءاة. معناه المؤمن يدلّ أخاه لإزالة ما فيه من الأمر القبيح،

---

(١) الأذكار للنووي: باب الغيبة بالقلب: (٥٤٩).

(٢) البرهان المؤيد للسيد أحمد الرفاعي.

(٣) الأدب المفرد للبخاري: باب المسلم مرءاة أخيه (٢٣٨).

يقول له اترك هذا الفعل، لا يتركه على ما هو عليه بل يبيّن له.

والنصيحة هي أن يعينَ الرجلُ أخاه على ما يرضي الله، ويبتعد عمّا يسخط الله.

فمن عملَ بهذا فهو من المفلحين، ومن لم يعمل فهو من الخاسرين.
عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. مُتَّفَقٌ عليه[١].

وقد روي حديث: «**المؤمن إن ماشيته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: «وحقّت محبتي للمتحابين فيّ وحقّت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقّت محبتي للمتواصلين فيّ وحقّت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقّت محبتي للمتباذلين فيّ**»[٣].

أما معنى «**المتناصحين فيّ**» أن يدلّ بعضهم بعضًا على الخير الذي يحبُّه لنفسه ويحذِّرهم من الشرّ.

وأما معنى «**المتواصلين فيّ**» فهو أن يزور بعضُهم بعضًا. فمن لم يتيسّر

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة: باب البيعة على إقام الصلاة (٥٢٤)؛ صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (٩٧).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: حرف الميم (١٣٥٤١).

(٣) شعب الإيمان: مقاربة أهل الدين ومودادتهم (٨٥٧٩)، موطأ مالك: ما جاء في المتحابين في الله عزّ وجلّ (٣٥٠٧).

له التزاورُ لبُعْدِ المسافةِ يراسله بالكتابة ومع إرسال السلام من غير طول العهد. وأما معنى «**المتباذلين فيّ**» فهو أن يتهادَوْا فيما بينهم، فإنّ الهَدِيّةَ تقوّي المحبة.

فينبغي التباذلُ ولو بشيء خفيفٍ ولو كان كالسواك وما أشبهَ ذلك.

وأهم هذا كلّه التناصحُ وهو أن يرغب لأخيه ما يرغب فيه لنفسه من الخير، وأن يبعده عما يكرهه لنفسه مما هو شرٌّ. ورد فيمن اتصف بهذا أنهم يكونون على منابرَ من نورٍ يومَ القيامةِ.

وأما ما ورد عن أبي رُقَيّة تميمِ بنِ أوسٍ الداريِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النصيحة**». قلنا: «لمن»؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم**»[1].

فمعناه الدين يأمر بالنصيحة، أي إخلاص الحقّ. أما النصيحة لله أي بالإيمان به وبصفاته أي بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان وبصفاته التي لا تشبه صفات المخلوقين. أما النصيحة للقرءان فهو تعظيمه واعتقاده. أما النصيحة للرسول ﷺ فهو باتّباعه. والنصيحة لعوامّ المسلمين أي إخلاص الحقّ لعموم المسلمين فهو بإرشاد جاهلهم ومعاونة عالِمِهم. هذه هي النصيحة.

---

(١) صحيح البخاري: باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة (٥٧)، صحيح مسلم: باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥)، سنن الترمذي: باب ما جاء في النصيحة (١٩٢٦)، شعب الإيمان: الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها (٤٨٨٤).

وفي رواية لمسلم أنه ﷺ قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ....**»[١].

(١) سبق تخريجه.

كيف يطلب المرء ما يريد من الناس؟

مُخَاطَبَةُ النَّاسِ مِنْ خِلالِ دَوَافِعِ الخَيْرِ وَالفَضِيْلَةِ فِي النَّاسِ:

إنَّ ذِكْرَ الدوافعِ النبيلةِ والخيِّرةِ في الناسِ، ومخاطبة الناسِ مِنْ خلالِها، قاعدةٌ لا يُستهانُ بها في جَذْبِهم والتأثيرِ فيهم وتغييرِ طِبَاعِهِم.

وحينَما تَطْلُبُ مِنْ إنسانٍ القيامَ بعَمَلٍ وتبدَأ طلبَكَ بأنْ تقولَ له: إنَّني أتوَسَّمُ فيكَ الخَيْرَ، وإنِّي لَوَاثِقٌ مِنْ أنَّكَ لَنْ تَرُدَّ لي طلبِي إنْ شاءَ الله، فإنَّه سيقومُ بالعملِ لكَ، ولنْ يَرُدَّكَ خائبًا على الأرْجَحِ.

والسببُ: لأنَّكَ رَسَمْتَ له صورةً جميلةً في ذهنِكَ وقلبِكَ، وذَكَرْتَ دوافعَ الخيرِ والنُّبْلِ في أعماقِه.

على سبيل المثال: إن موظفًا لا مانع لديه أن يلبي الطلبات والأوامر إذا كان قد تلقاها من مديره أو من غيره في صورة التماس أو رجاء، بل إنه بهذا الأسلوب ينطلق في تأديتها ويندفع، ولكنه قد لا يكون مستعدًا لتنفيذ الأوامر مباشرة. ومن هنا فإن مراعاة الجانب النفسي للشخص الآخر من أهم الأمور والمسلكيات في التعامل بين الناس ومنه الطلب منهم في أيّ موقع من المواقع وفي أيّ مؤسسة من المؤسسات.

وهناك الكثير من التعبيرات الحسنة في هذا المجال قد تجعل الطرف الآخر يقوم بالأعمال المرجوة منه من تلقاء نفسه. ومثال تلك التعابير

«أَلْتَمِس منك أن تقوم بكذا وكذا...» «ألتمس منك أن تساعدني في كيت وكيت...» «أرجو أن تقوم بكذا وكذا « «أقترح أن تفعل كذا وكذا...» «أتمنى أن تفعل كذا وكذا... « «ءامُل أن تقوم بكذا وكذا...» «من المفضل أن تفعل كذا وكذا...» «ما رأيك أن تقوم بكذا وكذا...» «هل لك أن تصنع كذا وكذا...» «أتوسم فيك أن تقوم لي بكذا وكذا...».

ولو أن المرء استخدم ذوقه الكلامي لتوصل إلى كثير من العبارات اللطيفة التي تعطي مفهوم الطلب والأمر للآخرين من أجل أن يقوموا بالأعمال المرادة منهم ولكن بصورة لطيفة غير مباشرة. ولا غرابة إذا وَجَدَ كثيرين من الناس يندفعون للقيام بالأعمال بإشارات أو رموز كلامية فنية تقدر شخصياتهم وتراعي مشاعرهم.

أسلوب الالتماسات والاقتراحات والتمنيات والآمال يسهل على الطرف الآخر أن يصلح خطأه فيما إذا كان مخطئًا ويدفعه إلى التعاون والموافقة بدل أن يحفزه إلى المشاكسة والعناد. ويمكن للمرء أن يجرّب بنفسه هذا الأسلوب كأن يقول لشخص يعرفه: أتمنى أن تساعدني في عملي هذا أو بأسلوب يشابه هذا الأسلوب فإنه سيَهُبُّ لمساعدته راغبًا. أما لو طلب منه ذلك في صورة أمر مباشر فقد لا يستجيب له وربما يرد عليه بقوله: ومن أنت حتى تصدر أوامرك إليّ؟

وفضلاً عن أن كثيرًا من الناس لا يفضلون استقبال الأوامر المباشرة فإن قسمًا منهم لا يستسيغ استقبالها أمام جمع من الناس. على أنه وإن لم

يكن الطلب بصورة الالتماس إلا أنه ينبغي للمؤمن أن يتطاوع مع أخيه المؤمن فيما هو خير ويترك الاستبداد، والاستبداد يضرّ صاحبه ويضرّ غيره ومعناه أن لا يرضى الشخص اتّباع رأي غيره ولو كان موافقًا للحقّ ويريد أن يتبعه الناس ولو كان على غير الصواب.

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «**ما ترك الحقّ صاحبًا لعمر**»[(١)] معناه أنا الحقّ صديقي، أينما كان الحق أنا أتبعه، أحقّ الناس أن يُتَّبَعَ مَن علم الحقّ وعمل به، العالم العامل والمتعلم العامل. خالد بن الوليد كان قائدًا، سلّمه عمر القيادة ثم بعد أن قطع وقتًا قائدًا عمر ولّى أبا عبيدة قائدًا، خالد ما صار في نفسه شيء من الترفع والاستبداد، صار مطيعًا لأبي عبيدة كواحد من الجند، ما نقص من عمله الذي كان يعمله شيء لأنّه لله يعمل ليس لوجه عمر.

قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن كالجمل الأنِف، إن قِيدَ انقاد وإن استُنِيخ على صخرة استناخ**»[(٢)].

---

(١) الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث: باب الميم (٤١٢).

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم (٣٣١)، سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٣).

تحبيب الآخرين في الأعمال المطلوبة منهم

من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يدركها في معاملته الناس أنهم ينطلقون ويندفعون في أداء الأعمال التي يرغبون فيها وهذا أمر عادي، وعليه فلا ننتظر من الآخرين أن يقوموا لنا بأعمال تبدو وكأنها قرارات بعيدة عن تحبيبنا إيّاها لهم وترغيبنا.

ومثال هذه القاعدة أن يريد امرؤ تكليف شخص ءاخَرَ بتدريس مجموعة من الطلاب في فن معيّن من الخير. فيأتي ويقول له بصدق نيّة وإخلاص: إن مهنة التدريس من المهن الإنسانية المؤثرة اللطيفة وللمدرس دور أوّلي وكبير في تعليم الناس ونقلهم من مستوى إلى ءاخر وفي توجيههم وتربيتهم في الحياة، وإني لأتوسم فيك وأنتظر منك أن تقوم بمهمة التدريس، وإنه لثواب جزيل ينتظرك في اليوم الآخر مقابل هذه الخدمة العظيمة. وبعد هذا لا غرابة إذا وجد هذا المدرس ينطلق وبإخلاص في التدريس ويتفاعل معه ويقوم به على خير وجه والسبب يعود إلى الحب والرغبة اللذين وُجِدَا في نفس هذا الإنسان تجاه خدمة التدريس.

ولذلك نذكر بعض الأحاديث التي تحثّ على التدريس الديني كقوله

ﷺ: «**بلّغوا عني ولو ءاية**»[١]. وقوله ﷺ: «**نضّـر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها**»[٢]. الرسول ﷺ دعا في حديثه هذا لمن حفظ حديثه فأداه كما سمعه من غير تحريف بنضْرة الوجه أي بحسن وجهه يوم القيامة وبالسلامة من الكآبة التي تحصل من أهوال يوم القيامة، لأنّ يوم القيامة يوم الأهوال العظام والشدائد الجسام.

وهكذا الحال بالنسبة لأعمال الخير الأخرى، فتحبيب الناس فيها وتحبيبها إليهم وسيلة تربوية ناجحة تجعلهم يندفعون إليها وينطلقون بنشاط في أدائها.

المصافحة

فقد جاء في الحديث عن قتادة أنه قال: قلت لأنس رضي الله تعالى عنه: هل كانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ فقال: نعم. وورد مرفوعًا: «**تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**»[٣]. وفي حديث ءاخر قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ**

---

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم﴾ (٣٤٦١)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٢٦٦٩)، الآداب للبيهقي: باب من غدا وراح في تعلم الكتاب والسنة (٨٦٤).

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٨)، سنن ابن ماجه: باب من بلغ علما (٢٣٦).

(٣) سبق تخريجه.

إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»[١]. مصافحة المسلم للمسلم حسنة فيها ثواب[٢]، كذلك الصلاة على النبي، أهل حمص في سوريا من عادتهم القديمة انهم اذا تلاقوا يصلّون على النبي، يتصافحون ويصلون على النبي، هذا يُصلى وهذا يُصلي على النبي، هذه الحسنة شرعية ينبغي أن يحرص الإنسان عليها.



التقبيل

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إن لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ!»[٣]. وورد أن الرسول ﷺ قبّل صحابيًا بين عينيه على الجبهة. وأنه عليه الصلاة والسلام قبل فم الحسين وسرته، هذا ثابت[٤]. وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رسولِ الله ﷺ فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**» قالوا: لَكِنَّا والله مَا نُقَبِّلُ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَوَأَمْلِك إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم**

---

(١) سنن أبي داود: باب في المصافحة (٥٢١٢)، سنن الترمذي: باب ما جاء في المصافحة (٢٧٢٧)، سنن ابن ماجه: باب المصافحة (٣٧٠٣).

(٢) سنن أبي داود: باب في المعانقة: (٥٢١٤).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال (٢٣١٨)، سنن أبي داود: باب في قبلة الرجل ولده (٥٢١٨)، سنن الترمذي: باب ما جاء في رحمة الولد (١٩١١).

(٤) المعجم الكبير للطبراني: الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (٢٨٧٨).

الرَّحْمَةَ!»[(١)]. ومن جاء من سفر يستحبّ أن تقبله، فقد ورد في الحديث ذلك. وكذا التقيّ يَقُبَّل. أما التقبيل لغير القدوم من السفر ولا للتبرك يقال فيه مباح أو مكروه وأما الحالات التي يكون فيها التقبيل فيه إدخال السرور على المسلم هذا فوق المباح.



المعانقة

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ[(٢)].



يستحب أن تضمّ طفلك بنية إدخال السرور إلى قلبه، وكذلك الوالدان لإدخال السرور إلى قلبيهما. والتزام القادم من سفر فلا يبعد القول بسنيّته. وقد ورد أن الرسول ﷺ جاءه الملك الموكل بإنزال المطر وكان الحسين طفلاً صغيرًا، الرسول قال لزوجته أم سلمة لا يدخل أحد أطبقي الباب فجاء الحسين فدخل فالتزمه الرسول فقال الملك أتحبه قال نعم قال فإن أمتك سَتقتله وأراه تربةَ الأرض التي يقتل بها، هذا الملك أخذ شيئًا منها فأراه، ثم هو قُتل في تلك الأرض التي هذا الملك حمل شيئًا من ترابها فأراه النبيّ. رواه ابن حبان[(٣)]

---

(١) الأدب المفرد للبخاري: باب الرحمة مائة جزء (٩٨)، شعب الإيمان: باب في رحم الصغير وتوقير الوقير (١٠٥٠٢).

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في المعانقة والقبلة (٢٧٣٢).

(٣) صحيح ابن حبّان: ذكر الأخبار عن قتل هذه الأمة ابن ابنة المصطفى ﷺ: (٦٧٤٢).



التعرف على الناس

التعرف على الناس فن سهل إلا أنّ كثيرًا منهم لا يجيدونه ومنهم من لا يعيره أدنى اهتمام. إن التعرف على الناس ليس مضيعة للوقت لأنه في أبسط صورة لا يستغرق سوى وقت قصير ومثاله: قد يزور المرء مستشفى أو يصادف أن يجلس في غرفة الانتظار إلى جوار شخص يرى أنه من الحَسَن التعرف عليه فلينتهز هذه الفرصة وليتعرف عليه. أو قد يصلي في مسجد ويلتقي بمجموعة من المصلين ليست بينه وبينهم معرفة سابقة فيمكنه أن يتعرف عليهم أو على بعضهم.

وبكلمة، لينتهز المرء كل فرصة تمكنه من التعرف على الآخرين وفي المواقع المختلفة، فمن شأن هذا التعرف أن يوسع من شبكة علاقاته الاجتماعية. أقل التقادير يجعله معروفًا لدى شريحة لا بأس بها من الناس.

وبهذه المعرفة ينشَط الإنسان ويؤثر في المجتمع ويفيد بإمكاناته وخُبُراته ويستفيد من إمكانات الآخرين وخبراتهم. وقد تكون لكل شخص طريقته الخاصة في التعرف عليهم.

ولكن هناك أمور أوّلية مشتركة في التعرف والتعارف منها:

❊ التعرف على اسم الشخص ووضعه الاجتماعي.

❊ التعرف على عنوان سكنه ورمزه البريدي.



* التعرف على وظيفته أو مهنته وعنوان عمله.
* التعرف على الخبرات والكفاءات التي يعرفها.

وبعد التعرف يمكن للمرء إذا أراد أن يطوّر العلاقة مع من تعرف عليه وتعارف كأن ينظم له زيارات أو يراسله إذا كان في بلدة نائية أو في بلد ءاخر ويصادقه ويستثمر العلاقة الاجتماعية به.



حسن المجالسة



ثبت في الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتجالسين فيّ**»[1]. وقد رُوي حديث: «**إذا أحب الله عبدًا رزقه خليلا إذا نسي ذكّره وإذا ذكَر أعانه**»[2].

إنّ للمجلس والمجالسة عَلاقة وطيدة بمعاملة الناس والروابط بهم إذ المجلس هو الساحة التي يحصل فيها اللقاء، وبناءً عليه فمن أولويات مجالسة الناس اختيار الجليس.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه.

المظهر اللائق

قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»(١). إن اللباس والبدن هما من المظهر الذي يواجه المرء به الناس ومن شأن البدن واللباس أن يكونا طاهرين نظيفين، لأن من طبع الناس أنهم يحبّون النظافة والترتيب ولقاؤهم بالمظهر الحسن هو من أمارات حسن التعامل بينهم. فقد قَالَ رسول الله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٢). «بَطَرُ الْحَقِّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَ«غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ. وأما معنى إن الله جميل أي جميل الصفات صفاته كاملة، وليس معناه جميل الشكل لأن الله منزه عن الشكل والرسم وكل ما كان من صفات الجسم ومعنى يحبّ الجمال أي يحبّ الصفات الحميدة.

ولو سئل كل امرئٍ أتحب أن يلقاك الآخرون بالمظهر اللائق أو بالقبيح؟

---

(١) المستدرك على الصحيحين: كتاب الأطعمة (٧١٨٨)، سنن الترمذي: باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢٨١٩)، شعب الإيمان: تعديد نعم الله عزّ وجلّ (٤٢٥١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه (٩١)، سنن الترمذي: باب ما جاء في الكبر (١٩٩٩)، شعب الإيمان: الملابس والزي والأواني وما يكره منها (٥٧٨٢).

لأجاب «بالمظهر اللائق».

وإضافة إلى ذلك أنه يجعل الآخرين منبسطين سعداء. والمطلوب في حسن المظهر المحافظة على حدّ الاعتدال فيه، لأنّه في الشرعِ مطلوب التخفيفُ من زينة الدنيا، الذي لا همة له للتأنق في الثياب هذا أحسن، فعن أبي بُردة أنه قال: أخرجت إلينا عائشة كساءً ملبدًا وإزارًا غليظًا قالت: قُبِض رسولُ الله ﷺ في هذين[١].

ونظافة البدن كما هو معلوم تعني نظافته كلِّه ومنه نظافة الوجه وشعر الرأس واللحية والشارب. فمن حسن المظهر أن يحسن المرء وَلاية شعر رأسه بتنظيفه وتمشيطه وأن يتعطر بالطيب. وقد قال رسول الله ﷺ: «**فمن كان له شعر فليكرمه**»[٢]. إكرام الشعر سنة يدخل في ذلك التمشيط والدهن بزيت الزيتون.

فائدة: وأما حديث «**إن الله نظيف يحب النظافة طيب يحب الطيب كريم يحب الكرم**»[٣] رواه الترمذي، وهو ضعيف. معنى «نظيف» نظيف من العيوب والجهل والعجز، منزه عن النقص معناه يحب نظافة الخُلق ونظافة البدن والثوب وأحب إليه نظافة الخُلق نظافة العمل، نظافة الثوب

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس: باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه (٣١٠٨)؛ سنن الترمذي: باب ما جاء في لبس الصوف (١٧٣٣).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الترجل: باب في إصلاح الشعر (٤١٦٣)، شعب الإيمان: فصل في الأخذ من اللحية والشارب (٦٠٣٦)، المعجم الأوسط للطبراني: حرف الميم (٨٤٨٥).

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في النظافة: ٢٧٩٩.

والبدن لا ينافي الكمال، لكن إن كان عن عجز لا يكون نقصانًا. بعض الصالحين من شدة الفقر لا يتيسر لهم الماء للنظافة، هؤلاء لهم درجة عالية عند الله. نظافة البدن والثوب إن نوى به التقرب إلى الله له ثواب. ومعنى كريم جواد عطاؤه واسع.

فلكي يحسن المرء معاملة الناس ينبغي له أن يبدو ذا مظهر لائق حسن بين ظهرانيهم.

ومن الأخلاقيات التي يجدر بالشخص أن يلتزمها في تعامله مع الناس وعلاقته بهم ما يلي:

* اجتناب التجسس عليهم: والتجسس على عورات الناس تَصْلُحُ لمعنى من ينظر إلى بيت شخص ليرى عورته أو عورة أهله وكذلك تصلح لمعنى من يفتّش عن عيوب الناس.

* اجتناب الجَوْر والبغي عليهم: والله تعالى لا يحب البغي أي الاعتداء على الناس. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[١]

* اجتناب المكر بهم: والمكر هو الخديعة، وهو إيقاع الضرر بالمسلم

---

(١) النحل: ٩٠.

بطريقة خفية، فقد ورد مرفوعًا: «**المكر والخداع في النار**»[١] أي أن صاحبهما يستحق دخول النار.

* اجتناب الغدر بهم: وهو حرام كأن يقول لشخص أنت في حمايتي ثم يفتك به هو أو يدل عليه من يفتك به.

* اجتناب الفخر والتكبّر عليهم: والتكبر هو الترفع عن قبول الحق.

* والله لا يحب الفخر، الفخر حرام في اللباس والمنزل والأثاث، والفخر هو أن يقصد أن يعظّمه الناس ويقولوا فلان له بيت فاخر مثلا والفخر من كبائر الذنوب. كان في الأمم السابقة رجل يمشي متبخترًا معجبًا بنفسه ينظر إلى هذا الجانب وينظر إلى هذا الجانب أعجبه هيئته رأسه وثوبه الله خسف به الأرض وهو إلى يوم القيامة ينزل في الارض إلى الآن هو ينزل يتجلجل ينزل ببطء يحتمل أن يكون مسلمًا ويحتمل أن يكون من الكفار إما من بني إسرائيل وإما من غيرهم[٢] هذا في الأغنياء كثير وفي النساء كثير.

* التواصي معهم بالحق والخير والصلاح والفضيلة: لأن الخير والحكمة وسلامة العاقبة في العمل بالشرع.

---

(١) صحيح ابن حبّان: كتاب الحظر والإباحة: ذكر الزجر عن أن يمكر المرء أخاه المسلم أو يخادعه في أسبابه (٥٥٥٩)، المعجم الكبير للطبراني: باب (١٠٢٣٤).

(٢) صحيح البخاري: ياي من جرّ ثوبه خيلاء: ٥٧٨٩، وصحيح مسلم: باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه: ٢٠٨٨.

* أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر: فالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده، والمنكر هو كل ما نهى الله عنه، وهذا إصلاح للمجتمع.

* الاهتمام بالمحتاجين والضعفاء والفقراء والمحرومين منهم والعطف عليهم ومواساتهم.

* قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[1]، وفي الحديث: «**المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة**»[2] أي تحفظه من الأهوال يوم القيامة. الله قد يعتق الشخص الذي هو من أهل الكبائر مستحق العذاب بشق تمرة، إذا تصدق الشخص على طفل جائع بنصف تمرة قد يعتقه الله من النار بنصف تمرة فكيف إذا تصدق بشيء كثير، هي العبرة أن تكون الصدقة من مال حلال ونيته خالصة ليس العبرة بالكثرة والقلة قد يتصدق الشخص بدرهم واحد من حلال قد يثاب على هذا أكثر من شخص تصدق بالآف، حتى لو كان الشخص له درهمان فتصدق بدرهم وءاخر له مليون أو مليونان فتصدق بمائة ألف ذاك ثوابه أكثر من الذي تصدق بمائة ألف ومثل هذا حديث: **سبق درهم مائة ألف درهم** قاله الرسول

---

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) شعب الإيمان: كتاب الزكاة: التحريض على صدقة التطوع (٣٠٧٦)، المعجم الكبير للطبراني: حرف الميم (٧٨٨).

للذي له درهمان وتصدق بدرهم[١]. روى الإمام أحمد أن امرأة خطف الذئب ابنها وكان بيدها رغيفًا فرأت فقيرًا فأعطته إياه فأرجع الذئب ابنها هذا ببركة الصدقة[٢].

* صح الحديث أن الصدقة تطفىء غضب الرب[٣] معناه أن الصدقة تكون سببًا لمحو المعاصي تذهب ءاثار غضب الله الصدقة نفعها عظيم «**إن الصدقة تطفىء غضب الرب**» حديث صحيح. معناه هذه الصدقة تطفىء أثر غضب الرب معناه أن الصدقة تكون سببًا لمحو المعاصي تذهب ءاثار غضب الله الصدقة نفعها كبير.

فائدة:

* الغضب إذا أضيف إلى الله فمعناه إرادة الانتقام قال الإمام أبو حنيفة: «**والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى**»[٤] لأن الله غضبه ليس كغضبنا ولا يرضى كرضانا. ليس انفعالا نفسانيًا غضبنا انفعال نفساني،ورضانا كذلك.

* صلة الأقارب والأرحام: والمراد بالرحم الأقارب كالخالات

---

(١) صحيح ابن حبان: ذكر البيان بأن صدقة القليل من المال اليسير أفضل من صدقة الكثير من المال الوافر: (٣٣٤٧)، وسنن النسائي الكبرى: باب صدقة جهد المقلّ: (٢٣١٨).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٨٣).

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في فضل الصدقة: (٦٦٤)، وصحيح ابن حبّان: ذكر إطفاء الصدقة غضب الربّ: (٣٣٩٠).

(٤) الفقه الأكبر لأبي حنيفة: باب في الصفات.

والعمّات وأولادهن والأخوال والأعمام وأولادهم. وقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من وصل رحمه إذا قَطَعَت**»[(١)]، ففي هذا الحديث إيذان بأن صلة الرجل رحمه التي لا تصله أفضل من صلته رحمه التي تصله، لأن ذلك من حسن الخلق الذي حضّ عليه الشرع حضًا بالغًا، فقد قال بعض العلماء: «**المؤمن كالشجرة المثمرة**» هذه الشجرة يأخذ منها ثمرها الذي يأخذ برفق، وءاخر يضربها فيأخذ ثمرها لا تمنعه، المؤمن مقصوده رضا الله.

* حسن معاملة الجيران والإحسان إليهم: لحديث عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه**»[(٢)]. وقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»[(٣)].

فقد روي عن سهل التستري أنه كان له جار مجوسي، فانفتح خلاء المجوسي إلى دار سهل فأقام سهل مدة يزيل أي ينحّي في الليل ما اجتمع عنده من القذر في بيته حتى مرض فدعا المجوسيَّ واعتذر بأن ورثته لا

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب ليس الواصل بالمكافئ (٥٩٩١)، سنن أبي داود: كتاب الزكاة: باب في صلة الرحم (١٦٩٧)، سنن الترمذي: باب ما جاء في صلة الرحم (١٩٠٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب الوصاة بالجار (٦٠١٥)، صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٢٦٢٤)، سنن أبي داود: باب في حق الجوار (٥١٥١)، سنن ابن ماجه: باب حق الجوار (٣٦٧٣).

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٢٦٢٥)، الأدب المفرد للبخاري: باب خير الجيران (١١٤)، شعب الإيمان: إكرام الجار (٩٠٩٢).

يتحملون ذلك الأذى كما كان يتحمله فيخاصمون المجوسي، فتعجّب المجوسي من صبره على هذا الأذى العظيم ثم قال له: «تعاونني بذلك هذه المدة الطويلة وأنا على ديني، مدّ يدك لأسلم» فمدّ يده فأسلم، ثم مات سهل رضي الله عنه [١].

* وقد روى البخاري أن رسول الله: «**لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**» رواه أبو داود الطيالسي [٢] فرسن شاة: ظلفها، رجلها أليس عليه ما يؤكل مع أنه شيء قليل هذا فيه ثواب إذا أهدتها الشيء القليل هذا فيه حسنة. لا تترك الإحسان إليها ولو بشيء قليل. وفي هذا الباب ورد في أمر الجار أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**ما ءامن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به**» [٣] فالذي يعلم أن جاره ليس له طعام يسد به ضرورته ثم لا يغيثه يترك جاره يقاسي ولا ينقذه وهو يعلم بحال هذا الجار هذا معناه كأنه لم يؤمن بي معناه ذنبه عظيم.

وقد قيل ثلاثةٌ تُكدِّرُ العيش: جارُ السوء، والولدُ العاقُ، والمرأةُ الخائنة [٤].

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (ض/ ٤٢٧).

(٢). مسند الطيالسي: أحاديث سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيّ: عن أبي هُرَيرة، وفي صحيح البخاري: كتاب الهِبة وفضلها والتحريض عليها: ٢٥٦٦، وصحيح مسلم: باب الحثّ على الصَدقة: ٩٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: باب صاحب المال لا يَمنع المضطر فضلاً: ١٩٦٦٨، ومسند أبي يعلى الموصلي: أوّل مسند ابن عبّاس: ٢٦٩.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح: (٢/ ١٦).

* حسن الصحبة والمعاملة في السفر: وعن النَّبيّ ﷺ أنه قَالَ: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ»[١]. وقد ورد مرفوعا: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[٢]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[٣].

وقد قال ابن عباس في تفسير ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ الرفيق في السفر.

* التعلم من كفاءات الآخرين وخبراتهم وتجاربهم والاستفادة منها.
* مجاراة الناس الذين يُخشى من ضررهم وشرّهم في أخلاقهم وللأمن من غوائلهم وشرورهم دون الوقوع في أمر حرّمه الله.
* حسن معاملة الرئيسِ للمرؤوس والقائد للمقود والمدير للمدار وبالعكس.
* حسن معاملة الحاكم لرعيته والرعية للحاكم.
* حسن معاملة المعلم للتلميذ والتلميذ للمعلم ففي الحديث: «ليس

---

(١) سنن أبي داود: باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٢)، سنن الترمذي: باب ما جاء في صحبة المؤمن (٢٣٩٥).

(٢) سنن أبي داود: باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣)، سنن الترمذي: باب (٢٣٧٨)، شعب الإيمان للبيهقي: مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة منهم (٨٩٩٠).

(٣) سورة النساء: ٣٦.

منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه»[١] أي ليس على طريقتنا الكاملة. ومن ءاداب الإسلام توقيرُ الكبير ورحمةُ الصغير، فحق على المحب على المحب أن يرحمه فعن أنس رضي الله أنه قال: خَدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لشيء فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشيء لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذا؟[٢].

* الكبيرُ في السن ينبغي أن يُقدَّمَ في المجلس وفي الكلام ينبغي أن يُنتظرَ حتى يبدأَ الكبيرُ في الكلام إذا كان الكلام فيه مشاورةٌ لا ينبغي أن يسبقَه الصغارُ. في هذا الزمان الصغير يتقدّم على الكبير ويجلس أمام أبيه بغير احترام ويرفع صوته على من هو أكبر منه، لو كان الحق مع الصغير يظهر المصلحة من غير رفع صوت[٣]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**أَرَانِي فِي المَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءنِي رَجُلانِ، أَحَدُهُما أكبر مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُما**»[٤].

---

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في رحمة الصبيان (١٩١٩)، شعب الإيمان للبيهقي: الجود والسخاء (١٠٤٧٤)، الأدب المفرد: باب إجلال الكبير (٣٥٨).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا (٢٣٠٩)، سنن أبي داود: باب في الحِلْم وأخلاق النبي ﷺ (٤٧٧٤)، سنن الترمذي: باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (٢٠١٥).

(٣) سنن الترمذي: باب ما جاء في رحمة الصِبيان: ١٩١٩، وأحمد في مسنده: أوّل مسند عبد الله بن عمرو بن العاص: ٦٩٣٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب دفع السواك إلى الأكبر (٢٤٦)، صحيح مسلم: كتاب الرؤيا: باب رؤيا النبي ﷺ (٢٢٧١).

* وَذَكَر أهل العلم أن من ءاداب المعلم أن يكون حليمًا لأنه بالحِلْم يتحقق معنى التعليم كذلك تحمل المتاعب من المتعلمين والمتعلمات هذا أيضا ييسر فائدة التعليم والتحصيل. فما أفلح المُفلحون إلا بالصبر والحلم.

* إكرام الضيف، فعن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[١].

إكرام الضيف لحديث أبي شريح العدوي في الصحيحين قال: سَمِعَتْ أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم رسول الله ﷺ فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائِزَتَه**» قالوا: وما جائزته؟ قال: «**يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**»[٢]. والمناسب أن يأكل الضيف إلى حد الشبع[٣] حتى لا ينكسر خاطر صاحب الطعام، ليس يأكل قليلا ثم يترك، وإكرام الضيف سنة مؤكدة[٤].

* لا تعلق قلبك بما في أيدي الناس والزم القناعة والعَفاف. قَالَ الله

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٦٠١٩)؛ صحيح مسلم: كتاب اللقطة: باب الضيافة ونحوها (١٤).

(٣) انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب لزكريا الأنصاريّ: فصل في ءاداب الأكل.

(٤) انظر صحيح البخاري: باب إكرام الضيف وخدمته إياه نفسه.

تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[١]. وقال تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٢].

* فقد ورد في حديث ضعيف القناعة كنز لا يفنى[٣] ومعناه كالكنز الذي لا يفنى ككنز يطول كثيرًا، الذي يرضى بالقليل من الرزق الذي ساقه الله إليه هذه القناعة كأنها كنز لا يفنى، ومعناه أن القناعة غنى القلب، القلب يرتاح بالقناعة أما إذا كانت النفس لا ترضى بالقليل من الرزق دائما هي في تفكير، من كان همه دائمًا في المال، يُفكر كيف يزيد ماله، هذا لا قناعة له في الرزق، كم من أغنياء كلما غنوا يطمعون في الزيادة. أما الذين غلبت عليهم القناعة وحب الآخرة إذا كثر عندهم المال يتضايقون حتى يوزعوه،لا ترتاح نفوسهم حتى يفرقوه، هذا شأن الأولياء الذين امتلأت قلوبهم قناعة وزهدًا.

* وعن النبي ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٤]. وقَالَ رسول الله ﷺ: «لَأنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أُحْبُلَهُ ثُمَّ

---

(١) سورة هود (٦).

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٣) رواه الطبراني والعسكري عن جابر والقضاعي عن أنس.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب الغنى غنى النفس (٦٤٤٦)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة:

يَأتِي الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بِحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»(١).

* كسب اليد (٢) أنفع من غيره النجار والحداد هذه الحِرف أشرف من بعضِ الحِرَف. التجارة محمودة أيضًا إذا كان الشخص يلتزم الصدق. والزراعة فيها خير الذي يزرع لا للبطر والفخر بل لينفع نفسَه وغيره هذا أيضًا محمود.

قصة عبدالله بن المبارك(٣)

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت أبا علي الفضيل بن عياض يقول لابن المبارك: «أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا»، فقال ابن المبارك: «يا أبا علي أنا افعل ذا لأصون بها وجهي وأكرم بها عرضي وأستعين بها على طاعة ربي لا أرى لله حقًا إلا سارعت إليه حتى أقوم

باب ليس الغنى عن كثرة العرض (١٠٥١)، سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب القناعة (٤١٣٧).

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع: باب كسب الرجل وعمله بيده (٢٠٧٥)، سنن ابن ماجه: كتاب الزكاة: باب كراهية المسألة (١٨٣٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري: باب كسب الرجل وعمله بيده، وسنن ابن ماجه: باب الحثّ على المكاسب.

(٣) شعب الإيمان: التوكل بالله عزّ وجلّ والتسليم لأمره (١٢٠٨).

به»، فقال له الفضيل: «يا ابن المبارك ما أحسن ذا إذا تم ذا».

ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب طعامه وشرابه
ويطيب ما تحوي وتكسب كفّه ... ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبيّ لنا به عن ربّه ... فعلى النّبيّ صلاته وسلامه

وجاء عن رسول الله ﷺ في الحث على التحري في البيع والشراء حتى يكون فاعله له هذا الأجر العظيم، وهو أنه يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء إذا تحرى ذلك معاملته بالبيع والشراء الصدق والأمانة وتجنب ما حرم الله من ذلك، فقد أخرج الترمذي بإسناد صحيح عن رسول الله أنه قال: «التاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء»[1] يعني أن الإنسان الذي يتعاطى البيع والشراء الصدوق الذي يتجنب الكذب ويتحرى الصدق الأمين المتجنب لما حرم الله من الغش والخيانة يكون يوم القيامة محشورًا مع النبيين والصديقين والشهداء وورد في ذمّ ما يخالف ذلك ممن لا يتجنب الحرام في بيعه وشرائه ذمّ شديد حديث صحيح أخرجه الترمذي أيضًا «**أن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله وبرّ وصدق**». المعنى

(١) سنن ابن ماجه: باب الحث على المكاسب: ٢١٣٩، وسنن الترمذي: باب في التاجر الصدوق: ٢٥٨١.

في نيل ذلك الفضل العظيم الذي تضمنه الحديث الأول أن البائع والمشتري إذا أرادا أن يتحريا الصدق والأمانة يلقيان مشقة مخالفة النفس فيجاهدان أنفسهما وهواهما لأن النفس ميّالة إلى الشر والمعصية فهذا التاجر يقهرها حتى يوقع هذا العقد على ما أمر الله فاستحق هذا الفضل العظيم. وكما أنه ينبغي تحري البيع الصحيح كذلك ينبغي تحري العقود من الإجارة والقراض والرهن والوكالة والوديعة والعارية والشركة والمساقاة أن تكون على الوجه الصحيح الخالي من المعصية ليسلم من وبال المعصية، فإن من كل هذه الأشياء ما يصح وما لا يصح فيها ما يجوز فيها وما لا يجوز، وأما عقد النكاح فيحتاج إلى مزيد احتياط لأن أمره أولى بذلك، فإن خطر الوقوع في الجماع المحرم أشد خطرًا من الوقوع في البيع المحرم وذلك لأن الزنا أكبر المعاصي عند الله بعد الكفر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن عرف العقد الصحيح فأجرى عقده على ذلك سلم من معصية الزنا ومن لم يعرف فورط نفسه فقد أهلكها.



من وصية الإمام أبي حنيفة رحمة الله عليه لتلميذه يوسف بن خالد السَّمتي البصريّ حين استأذنه الخروج إلى البصرة:

بسم الله الرّحمن الرحيم

إذا دخلْتَ البصرةَ واستقبلك الناسُ، وزاروك وعرفوا حقَّك فأَنزِلْ كلَّ رجل منهم منزلته، وأكرم أهل الشرف وعظّم أهل العلم ووقّر الشيوخ ولاطف الأحداث، وتَقَرَّب من العامة ودارِ الفجّارَ، واصْحَبِ الأخيار، ولا تحقرنّ أحدًا يَقْصِدُك، ولا تقصِّرنَّ في إقامة مودّتك، ولا تُخرِجنَّ سرّك إلى أحد، ولا تخادم خسيساً ولا وضيعاً، ولا تقولنَّ من الكلام ما يُنكر عليك في ظاهره.

وإيّاك والانبساط إلى السفهاء، وعليك بالمداراة والصبر والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر. واعمد في زيارة من يزورك ومن لا يزورك، والإحسان إلى من أحسن إليك أو أساء. وخذ العفو وأْمُرْ بالمعروف، وتغافل عمّا لا يعنيك، واترك كل من يؤذيك.

ومَن مَرِضَ مِن إخوانك فعده بنفسك، ومن غاب منهم فتفقد أحواله،

ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه. وصِلْ مَن جَفاك وأكرم من أتاك، واعْفُ عمن أساء إليك ومن تكلم منهم بالقبيح فيك فتكلم فيه بالحَسَنِ الجَميل. ومن كانت له فرحة هَنِّئْتَهُ لها، ومن كانت له مصيبة عزّيتـه عنها، ومن أصابه هَمٌّ فتوَجَّعْ له به.

ومن استنهضك لأمر من أموره نهضت له، ومن استغاثك فأغثه.

ومن استنصرك فانصره، وأظهر التودد إلى الناس ما استطعت، وأفش السلام، وءانِسْهُم ومازحهم أحيانًا، وحادثهم، فإنها تجلب المودة وتستديم به مواظبة العلم، وأطعمهم أحيانًا واقض حوائجهم واعرف مقدارهم وتغافل عن زلاتهم وارفُق بهم وسامحهم، ولا تُبْدِ لأحد منهم ضيق صدر أو ضجرًا، وكن كواحد منهم، وارض منهم ما ترضى لنفسك، وعامل الناس معاملتك لنفسك، واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة لأحوالها.

وإياك والغدر وإنْ غدروا بك، وأَدِّ الأمانة وإن خانوك، وتَمَسَّك بالوفاء، واعتصِم بالتقوى.



نصيحة قيمة

نصح بعض العلماء أحد مريديه فقال:

«أوصيك بتقوى الله في السِّرّ والعلانية وبالإقلاع عن الأمور التي توجب الحرمان، فإن طلب الأَمداد بلا استعداد كالسفر بلا زاد، وأوصيك بمراعاة الأنفاس، وحفظ الحواسّ، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود، والعمل بالسنة، والاقتداء بالأئمة، وموافقة المتبتل الطائع، ومجالسة المنيب الخاشع، ومعاشرة الوفي الخاضع، وزيارة الساجد الراكع. وكن يا أخي جوّال الفكر، جوهري الذكر، كثير العلم، عظيم الحِلْم واسع الصدر. وليكن ضحكك تبسماً، واستفهامك تعلماً، ناصحاً للغافل، معلماً للجاهل، لا تؤذِ من يؤذيك، ولا تدخل فيما لا يعنيك، لا تَشْمَتْ بمصيبة، ولا تلوّث لسانك بغيبة، صادقَ القول، وَقّافاً عند الشبهات، أباً لليتيم، بشراك في وجهك، وحزنك في قلبك، مشغولاً بنفسك، لا تفشِ سراً، ولا تهتك ستراً، كثير العبادة، طالباً أبداً للزيادة، كثير الصمت، تَحَمَّلُ أذى مَنْ جَهِلَ عليك، عفُوّاً عمن أساء إليك، تَرْحَمُ الصغير وتوقر الكبير، أميناً على الأمانة بعيداً عن الخيانة صبوراً عند الشدائد، قليل المؤونة كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام، تصلي رهبة وتصوم رغبة، غاضّاً



للطرف، قليل الزلل، كثير العمل، أديباً مع الأولياء، كلامك حكمة ونظرك عبرة، قليل الضجر لا تكشف عورةً ولا حقوداً ولا حسوداً، تطلب من الأمور أعلاها، معمِّراً للأرض بجسمك، وللمقابر بروحك، لابساً ثياب التواضع، متجرداً عن المطامع، متوكلاً على المدبّر الصانع، والحمد لله ربّ العالمين.

الخاتمة

وبعد أن ذكرنا في هذا الكتاب جملة من الفضائل التي يسعد من يعمل بها في دنياه وءاخرته، مذكّرين بأن عمل الخير ولو كان قليلاً لا يَضِيع عند الله، فالدنيا ارتحلت مدبرة والآخرة هي المقبلة، فلا تشغلك دنياك عن ءاخرتك، ففي كتاب الفتح للحافظ ابن حجر العسقلاني: كتاب الرقاق باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ما نصّه:

«ولما أورد الغزالي حديث المستورِد في الإحياء عقّبه بأن قال ما مُلَخَّصه: اعلم أن مَثَلَ أهلِ الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهوا إلى جزيرة معشبة فخرجوا لقضاء الحاجة فحذّرهم الملاح من التأخر فيها وأمرهم أن يقيموا بقدر حاجتهم وحذرهم أن يقلع بالسفينة ويتركَهم، فبادر بعضهم فرجع سريعًا فصادف أحسن الأمكنة وأوسعها فاستقر فيه، وانقسم الباقون فرقًا الأولى استغرقت في النظر إلى أزهارها المُوَنَّقة وأنهارها المُطردة وثمارها الطيبة وجواهرها ومعادنها، ثم استيقظ فبادر إلى السفينة فلقي مكانًا دون الأول فنجا في الجملة. الثانية كالأولى لكنها أكبَّت على تلك الجواهر والثمار والأزهار ولم تسمح نفسه لتركها فحَمَل منها ما قدر عليه فتشاغل بجمعِهِ وحملِه فوصل إلى السفينة فوجد مكانًا أضيق من الأول ولم تسمح نفسه برمي ما استصحبه فصار مثقلا به ثم لم يلبث أن ذبلت الأزهار ويبست الثمار وهاجت الرياح فلم يجد بدًّا من إلقاء ما استصحبه حتى نجا بحُشاشة نفسه، الثالثة توجلت في الغياض

وغفلت عن وصية الملاح ثم سمعوا نداءه بالرحيل فمرت فوجدت السفينة سارت فبقيت بما استصحبت في البرّ حتى هلكت، والرابعة اشتدت بها الغفلة عن سماع النداء وسارت السفينة فتقسموا فرقًا منهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات جوعًا ومنهم من نهشته الحيّات، قال: فهذا مَثَلُ أهلِ الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة وغفلتهم من عاقبة أمرهم. ثم ختم بأن قال:

وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن يغترّ بالأحجار من الذهب والفضة والهشيم من الأزهار والثمار وهو لا يصحبه شيء من ذلك بعد الموت.

«والله المستعان» اهـ

فهرس

مقدمة ٣
معاملة الناس ٥
الأُسُسُ الأوَّلِيَّةُ لِلتَّعامُلِ السَّلِيْمِ مَعَ النَّاسِ ٥
الأَسَاسُ الأوَّلُ: الدِّينُ ٦
حُسْنُ الخُلُق ١٠
التواضُعُ للنَّاسِ.. ١٩
تَرْكُ الغَضَب.. ٢٩
تحاشي الجدال المذموم.. ٣٣
اللِّيْنُ والتَّسَامُحُ.. ٣٤
فائدة ٣٨
قصة نبي الله أيوب عليه السلام ٤٢
قصَّةٌ فيها حكمةٌ كبيرةٌ ٤٤
اللَّيَاقَةُ وَاللَّبَاقَةُ في التَّحَدُّثِ.. ٤٧
كيف يكسب المرء وُدَّ الناس وَحُبَّهم له؟.. ٥١
التودد إلى الناس.. ٥١
القُرْبُ مِنَ النَّاسِ ٥١
إسْبَاغُ التَّقْدِيرِ الخَالِص ٥٢
أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.. ٥٨

إلقاء السلام ٦٢
الكلمة الطيّبة.. ٦٤
إدخال السرور على الناس.. ٦٩
طلاقة الوجه مَكْسَبَة للمحبة ٧٢
تذكر حفظ أسماء الناس.. ٧٧
أمور أخرى في التحبب إلى الناس ٨١
الحياء من الإيمان.. ١٢٠
حسن الظن بالناس ١٢٢
الأمانة وأداء الأمانة ١٢٢
الوفاء للناس بالوعد والعهد ١٢٥
التبينُ والأناةُ في اتخاذِ المواقفِ من الناس.. ١٢٦
تجنب الخصومات في معاملة الناس وأذاهم ١٢٦
الإصلاح بين الناس ١٢٩
اجتناب التعصب المذموم ١٣١
التسليمُ بأخطاءِ الذات.. ١٣٢
كيفية التعامل حينما يخطئ الآخرون ١٣٤
كيف يطلب المرء ما يريد من الناس.. ١٤٠
تحبيب الآخرين في الأعمال المطلوبة منهم ١٤٣
المصافحة ١٤٤

التقبيل ١٤٥
المعانقة ١٤٦
التعرف على الناس ١٤٧
حسن المجالسة ١٤٨
المظهر اللائق ١٤٩
وصيةٌ عظيمة ١٦٤
نصيحة قيمة ١٦٦
الخاتمة ١٦٨